الشخصية

تأليف GOAL

محمد عطية الإبراشي

خريج جامعتي اكستر ولندن

المفتش بوزارة المعارف

الطبعة الثانية ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

منقحة ومزيدة

يطلب من

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليّ القدير ، والصلاة والسلام على نبيه الكريم . وبعد فإن أكبر دليل على توفيق الله ، وتشجيع القراء ، نفاد الطبعة الأولى من كتاب « الشخصية » بعد ظهوره بأشهر قليلة .

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأقدم للقراء ، وللصحافة العربية ، ولكل من قرظه ونقده جزيل الشكر ، ووافر الثناء على ما قاموا به من تشجيع وبحث وتمحيص ، وما كتبوه عنه من مقالات ، وما قدموه من إرشادات .

ورغبةً فى الوصول إلى الحقيقة أعدت النظر فيه ، ونقحته ، وأضفت إليه كثيراً من الاستشهادات ؛ توضيحاً لما فيه من النظريات .

والآن يسرنى أن أتقدم به إلى القراء فى صورة أخرى جديدة ، وكان رائدى دائمًا البعد عن الخفاء والالتواء فى شرح الحقائق . وقد ضبطت الكلمات الصعبة وشرحتها ؛ حتى لا أثقل على القارئ فى البحث عن ضبطها ومعانيها .

وإنى بما ذكرت من أخبار الأبطال ، والعظماء من الرجال ، من الشرقيين والغربيين ؛ وبما أوردت من حكمهم البالغة ، وكلماتهم المأثورة ؛ وبما وضحت من النظريات العلمية التى زكتها التجارب ، ودعمتها البراهين من علوم النفس والأخلاق والاجتماع — أرجو أن يوفقنى الله إلى تمهيد سبل العلم للراغبين فيه ، وتقويم المعوجّ من الأخلاق ، وتكوين شخصيات عظيمة تكون عماداً لمصر فى حاضرها ، وقواماً لها فى مستقبلها ، لتعيد مجدها الماضى ، وحضارتها الخالدة .

هذا وقد فصلت الفهرس فى آخر الكتاب تفصيلاً يسهل على القارئ معرفة ما يحتاج إليه من الآراء والنظريات والاستشهادات .

والله المستعان ، وهو حسبى ، ونعم الوكيل ؟

محمد عطية الابراشى

ربيع الأول سنة ١٣٥٦ هـ

مايو سنة ١٩٣٧ م

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، و بعد فقد كتب كثير من علماء النفس عن الشخصية ، وأثرها فى الحياة الإنسانية ، وكتبنا عنها فصلا فى كتابنا[1] « فى علم النفس » ، ولكن عنّ لى فيما بعد أن موضوعاً كالشخصية يحتاج إلى كثير من التفصيل والتمثيل . والآن يسرنى أن أتقدم إلى قراء العربية ، وبخاصة شبان اليوم ، ورجال الغد ، بذلك الكتاب ـ إن صح أن نسميه كتاباً ـ عن المثل الأعلى للشخصية ؛ راجياً أن يكون ذلك المثل خير قدوة للطلبة والطالبات ، والآباء والأمهات .

ولا أدّعى أنى كتبت ، أو أستطيع أن أكتب كل ما يتعلق بالشخصية فى كتاب ؛ فكل ناحية من نواحيها تتطلب كتاباً خاصًّا . وقد حاولت ألا يكون الأسلوب علميًّا جافًّا ، ووضحته بكثير من

---

(١) انظر الفصل الأخير من الجزء الثالث من كتاب « فى علم النفس » تأليف الأستاذين : حامد عبد القادر ، ومحمد عطية الإبراشى .

الشواهد الأدبية ، المتصلة بالناحية العلمية للشخصية ، فجاء سهل اللفظ ، واضح العبارة .

فإذا نجحت فى توضيح ذلك البحث فذلك ما أبغيه ، وإذا وفقت فى أن يكون لتلك الرسالة أثر فى تكوين شخصيات مصرية قوية ، تكون دعامة متينة ، وذخيرة نفيسة لمصر الحديثة ، فهذا كل ما آمله وأرجوه . أسأل الله الهداية والتوفيق ؟

محمد عطية الابراشى

الأحد { ١٨ من رجب سنة ١٣٥٥ هـ .
٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٦ م . }

الفصل الأول

الشخصيــــة

مقدمة : —

إذا تقدمَ أحدُ أقاربك من الشبانِ إلى وظيفةٍ من الوظائف ، ثم سئلتَ عما تعرفهُ عنه بالتفصيل فقد تجيبُ بأنه شاب أمينٌ نزيه ، صادق فى قوله ، كريمُ الخلقِ ، حسنُ السلوكِ ، سليمُ القلبِ ، طاهرُ السريرةِ ، كثيرُ التفاؤلِ ، قليلُ التشاؤمِ ، يقول ما يعتقدُ . ويعتقدُ ما يقولُ ، هذا من الوجهةِ الخلقية . أما من الوجهةِ العقليةِ فهو : ذكى، حاضرُ البديهةِ ، حسنُ البصيرةِ ، صافى الذهنِ ، صادقُ الحسِّ ؛ وأما من الناحيةِ الاجتماعية فهو : محب للتعاون ، عدوٌّ للأثرَةِ ، يشارك الناس فى مَسرّاتهم ، ويواسيهم فى أحزانهم ، يوقر الكبير ، ويعطف على الصغير ، مطيع للرئيس ، وفىٌّ للنظير ؛ وأما من الناحية الجسمية ، فهو : قوى الجسمِ ، مُعتدلُ القامةِ ، حسنُ الهيئةِ ، جميلُ الذّوْقِ ؛ وأما من الوجهتين العلمية والعملية ، فهو : مثلٌ فى النشاطِ وأداءالواجبِ ، واسعُ الاطلاعِ ، غزير المادة . . . وما إليها من الصفات المختلفة التى يتصف بها ذلك المثل الأعلى من الشباب .

فمجموعُ هذه الصفاتِ يصورُ شخصيته العليا بصورة واضحة مفصلة .
وقد أثبتَ علم النفس التطبيقىّ أن قوّة الشخصية شرط أساسىّ للنجاح فى الحيـاة ، وأن المؤهلاتِ العلميةَ وحدَها لا تـكفى للنجاح ، بل يجبُ أن تصحب بالشخصيةِ القوية ؛ فكثيرون من الأطبـاء والمدرسين والمحامين وغيرهم ، قد فشلوا فى حياتهم العملية لضعف شخصياتهم ، مع كفايتهم من الوجهة العلمية[1] .

ولكن ما تلك الشخصيةُ التى طَالمـا سمعنا الناسَ — ولا نزال نسمعهم — يتكلمون عنها ، ولا ندرِى من أمرها شيئًا ؟ وإجابة عن هذا السؤالِ نقول :

تعريف الشخصية :

ليس من السهلِ أن نحددَ الشخصية ، ونعرفها تعريفًا علميًّا جامعًا مانعًا ؛ فهى كالكهربا والمغناطيسية والمِذياعِ « الراديو » — لا تُعرفُ إلا بآثارِها . ولكن هذا كله لا يمنعُنا أن نحـاولَ البحثَ عن سرها وتعريفها تعريفًا تقريبيًّا ، فنقول : —

---

(١) ولا يفهم مطلقا مما تقدم أن الشخصية مقصورة على الصفات المحمودة ، بل إن هناك أشخاصاً ذوى شخصيات معروفة متصفين بصفات ممقوتة ؛ كالخيانة ، واللؤم ، والتشاؤم ، والخداع ، والغباوة ، والأثرة ، وحب العزلة ، وقبح المنظر ، والحمق ، والمهارة فى التلصص .

(١) الشخصيةُ : هى مجموعُ الصفات والمزايا الذاتية التى يمتازُ بها الشخصُ من غيره[1] . أو هى :

(٢) مجموعةُ الصفات العقلية والخلقية والجسمية والإرادية التى يُتوَّج بها الإنسان . أو هى :

(٣) مجموعةُ الفروقِ التى تميز الشخصَ عن غيره .

والحقُّ أن هذه التعريفات كلَّها تقريبية ، وأن الشخصية لا يمكن تحليلُها إلى عناصرِها الأوَّلية تحليلاً محسًّا ، ولكنها تبدُو لنا فى مقدارِ ما عند الشخص من الاستقلال الفكرى ، وحضورِ البديهة ، وسرعة الخاطر ، وقوة الروحِ . . . وهى كالحب والكره اللذين لا يمكنُ تعليلُهما عادة ؛ فقد تحب شخصًا أو تبغضُه لمجرد رؤيته بدون معرفةٍ سَابقة ، وقد لا يمكنُك إبداء السبب ، وكل ما تستطيعُ أن تذكره هو أن تقولَ: إنى أحبُّه أوْ لا أحبه . أما السببُ فلا يمكن تعليلُه ؛ لأنه أمر معنوى ، وسرٌّ خفى يتعلقُ بشخصية ذلك الرجل . وقد يكونُ الشعورُ بالحب أو البغض ناشئًا عن صفات أو عيوب خاصة فى الشخص الذى نعرفه وتقابلُه من حين لآخر ؛ فنحنُ نحب فلانًا مثلا ؛ لأنه مخلص ، كريمٌ ، شجاعٌ ، متفائلٌ ، يُواسى الفقيرَ ، ويساعدُ البائسَ . ونكره فلانًا ؛ لأنه لا يعرفُ الإخلاصَ ، والإخلاصُ لا يعرفُه ، يتمثلُ فيه البخلُ ، والجبنُ ،

(١) سواء أ كانت تلك الصفات حسنة أم قبيحة .

والتشاؤمُ ، والقسوة والغِلظةُ ، لا يحِن إلى مِسكين ، ولا يتألمُ لحزينٍ . وفى مثل تلك الأحوالِ نعرفُ إلى حد ما سببَ المحبة أو الكراهية . ولكن ليس ذلك بسهلٍ دائماً ؛ فقد نحب الشخصَ لمظاهره ، أو نكرهه لتلك المظاهر ، ولا يمكننا أن نوضحَ الأسبابَ التى جذبتْنا إليه ، أو التى نفّرتنا منه . والسبب الجوهرى هو أن شخصيتَه محبوبةٌ أو مكروهةٌ .

هل الشخصية هبة فطرية أم صفة مكتسبة ؟

الجواب أن الشخصيةَ توهَب بالفطرة ، وقد تكتسبُ بالتربيةِ الحقة ، ولكن الفطرية أقوى من المكتسبةِ . ولو كانت الشخصية هبة طبعية فحسب لكنَّا ضحايا الظروف ، وما كان للتربية أىُّ أثرٍ فى تكوين العظماء من رجال الدينِ والعلمِ والأدبِ والفن ، ولكنَّ أثرَها لا يُنكر فى تكوين الشخصيةِ والعظمةِ فى نفوسِ العظماء . وهنا نسأل : هل قامت التربيةُ وقام المربون حقيقة بواجبهم نحو تربيةِ الشخصية ؟ هل قاموا بواجبهم وقد أصبحنا نفكرُ فيما فكر فيه غيرُنا ، ونتكلم بما قاله سوانا ، ونفعلُ مثلَ مَن سبقنا ؟ إننا أصبحنا مقلِّدين فى أفكارنا وأقوالنا وأفعالنا ، مُهمِلين أنفسنا وشخصياتنا ؛ لأن التربية تربيةٌ اتكاليةٌ ، لا تَعرف معنى الثقة بالنفسِ ، والاعتمادِ على النفسِ فى التفكير والقولِ والعملِ . وقد نادى كبارُ المربين وبخاصة « السير برسى نَنْ(١) »

(١) Sir T. Percy Nunn.

المربى الإنكليزى الكبير بأن الغرضَ من التربيةِ هو تربيةُ الشخصية المستقلّةِ . وكُتُبُ التربيةِ فى وَادٍ ، والمدارسُ فى وادٍ آخرَ ؛ فبينما نقول : يجبُ أن يُربَّى الفردُ تربية كاملة من كل الوجوه جسمياً وعقلياً وخلقياً واجتماعياً ، نجد أن الفردَ مُهمل إهمالاً تامًّا من جميع الوجوه ، وأن شخصيته تُطْبَع بالطابع المدرسى ، وتصب فى قالب خاص فتفقِدُ مظاهرَها الطبعيةَ ؛ كل ذلك حباً فى النظام . ولسنا ننكرُ أن النظامَ يجبُ أن يكونَ سائداً ، بل إننا نُنادِى بالنظام ونقول دائماً : النظامُ هو الحياةُ ، ولكننا نعترض على الطريقة التى بها يَسُودُ ذلك النظامُ ، تلك الطريقة التى تقتل شخصية الطفل ، وتضعفُ مواهبه ، ونريد طريقة أخرى بها يستتب النظامُ من غير إضرار بعقلية الطفلِ أو وجدانه أو إرادته أو جسمه أو شخصيته . وليست هذه الطريقةُ بسهلة ؛ لأنها تتطلبُ مشاركةً فى الوجدان ، وفهماً لكل فرد من جهة الذكاء والميولِ والبيئةِ والظروف . . . . وما ذلك بالأمر الهيِّن ، فنحن لا نفكرُ إلا فى المظاهرِ ، والنظامِ الشكلى ، والسكونِ العسكرى ، مهما ضحَّينا فى سبيل هذه الأشياء من الضحايا ، وإذا تحققت الثقة بين المعلم والمتعلم ، ووُجدت الصلةُ الروحيةُ بينهما ، فمن المحال أن تكونَ هناك صعوبة فى نظامٍ أو غيرِه ، ولن يُضَحَّى بشخصية الفردِ أو الأفراد بَعدُ .

الاختلاف فى الشخصية

كما أن الناسَ يختلفون فى الذكاء والميولِ الفِطْرية ، كذلك يختلفون فى الشخصية ؛ فبينما تجد هذا قوىّ الشخصية ، قد تجد ذاك خاملاً ضعيفَ الشخصية ، وكما أن الشخصيةَ تختلفُ باختلاف الأفراد كذلك تختلفُ باختلاف الشعوب ؛ ففى الشخصية الألمانيــة تتمثلُ الروحُ العسكريةُ والطاعةُ العمياء ، والاتكالُ على الحــكومة فى كثيرٍ من الأعمالِ . وفى الشخصية الإنكليزية تبدُو الثقةُ بالنفسِ ، واحترامُ الذاتِ ، وتقديرُ الحريةِ الشخصية ، والاستماتةُ فى سبيلها . وفى الشخصية الأمريكية تظهرُ الروحُ العامة أو « الديموقراطية » ، وعدمُ الاكتراث للتقاليد ؛ لأن أمريكا كأمةٍ حديثةٍ لا تقاليدَ لها . وفى الشخصية الفرنسية تتغلبُ العاطفةُ على التفكير ، والنظرياتُ على الأعمال ، وتكثر الآمالُ ، والميلُ إلى الخيالِ ، وحب الظهور ؛ فكل فرنسى يريدُ أن يكونَ ضابطاً إذا تقدم للحرب ، ولا ندرى مِنْ أين يُؤتى بالجنود إذا كان الجميع ضبَّاطاً . وإذا كانوا ضباطاً فإنهم لا يفكرون فى الجنود ولا يختلطون بهم ؛ خوفاً من أن يقلّ احترامهم . والمِثْلُ يقال فى العلاقةِ بين المدرسين والتلاميذ ؛ فأولئك فى وادٍ ، وهؤلاء فى وادٍ آخر ، والصلةُ بين هؤلاء وأولئكَ لا تتجاوزُ صلةَ الحجرة الدراسية ، تزول بمغادرتها وتتجددُ بالعودة إليها.

فالشخصية صفة نسبية ، وقوّةٌ سِريّة ، توجد فى كل شخص إلى حَدٍّ ما ، وتختلف فى نوعِهـا وقوتِها باختلاف الأشخاصِ . وقد تكون بارزةً واضحةً فى بعض الأفراد يشعر بها الإنسانُ فى الحال ، وقد تكون كامنةً خفيةً فى بعضهم الآخر .

ولكلّ فردٍ صفةٌ تخصه ، وشىءٌ يُعرَف به ؛ فَهِيرُودُوسُ كان معروفاً بالظلم ، وسيدُنا عمرُ بنُ الخطاب (رضى الله عنه) كان مشهوراً بالعدالة ، ومعاويةُ بالسياسة والحلم ، وحاتم الطائى بالكرم ، ومُسَيْلِمة بالكذب ، و (شَارْلِزْ دِيكِنْز) بالدفاعِ عن الفقراء ، و (أديسُون) بالمثابرة ، و (شَارْلى شابِلنْ ، ولُوريل ، وهارْدى) بالفكاهة . . .

وليست الشخصيةُ مقصورةً على جنسٍ دون آخر ؛ ولا على طبقة دون أخرى ؛ فكما تكون بين المتعلمين تكون بين غيرهم ، وكما تكون بين المَدَنيِّين تكون بين القَرَويين ، وكما تكون بين الرجال تكونُ بين النساء ، وكما تكون بين الأغنياء تكون بين الفقراء ، ولكل تفكيرُهُ وتقاليدُه وطُرُقُه ومعيشتُه الخاصة .

الفصل الثاني

العناصر الرئيسية التى تتكون منها الشخصية القوية

إن العناصرَ الجوهريةَ التى تتكون منها الشخصيةُ القويةُ كثيرة ، منها : الجاذبيّة ، والنشاط العقلىّ ، والمشاركة الوجدانيّة ، والشجاعة ، والحكمة ، والتفاؤل ، والتواضع ، وحسن مظهر الإنسان وقوامه ، وقوة البيان ، والثقة بالنفس ، واعتدال المزاج . ولنتكلم عن كل عنصر منها فنقول :

١ — الجاذبيـــة

هى قوةٌ طبعيةٌ إنْ وُجدت فى الشخص استطاع أن يجتذب قلوب غيره ممن يتصلون به ، بدون أن يتكلَّفَ أو يتصنعَ . وهذا العنصرُ يعدُّ من أقوى العناصر التى تتكونُ منها الشخصيةُ إن لم نقلْ أقواها . ولكنْ بماذا يجتذبُ الإنسانُ غيرَه من الناس ؟ الجواب أنه يستطيع أن يجتذبهم ويُسيطرَ عليهم بِأدبه وعلمِهِ ، وضبطِ نفسهِ ، وسَدادِ رأيه ، وسُرعةِ خاطره ، وحُسنِ حديثه ، وكرَمِ خُلقهِ ، ومراعَاة شعورِهم ، ومشاركتِهم فى وجدانهم . وهذه الصفاتُ بعضُها وراثى ، و بعضها يمكن أن يُكتسبَ بالتربية والتعليم ؛ فى البيتِ والمدرسةِ والملعب والمجتمع .

وقد يَسْتثقلُ الإنسانُ الشخصَ قبل أن يختبرَه ، و بالتحادث معه قد يعجب بعلمه وحديثه ، فيتبدّل الحال ، فيصبحُ النفورُ إعجاباً ، والازدراء إجلالاً .

و بحسن المعاملة ، واللّين فى غير ضعف ، يجتذب الإنسان قلبَ غيره ، و يصلُ إلى أشياء لا يمكنه الوصولُ إليهـا لو التجأ إلى الشدة والعُنف . و بالسياسةِ والقوةِ الروحيةِ تستطيع أن تحصلَ على غرضِك ، وتكسِب ثقة الناس بك .

الفصل الثالث

٢ ـ النشاط العقلى أو الذكاء

العنصر الثانى من العناصر المكوّنةِ للشخصية القويةِ هو النشاطُ العقلىُّ، أو الذكاء، وبعبارة أخرى حضورُ الذهن، وسرعةُ الخاطر، وصَفاء القريحة . فقد يكون الرجلُ مثقفاً، واضحَ التفكيرِ، غزيرَ المادةِ، واسعَ الاطلاعِ، ولكنه قد لا يكون مُتّقِدَ العقلِ، وَضّاء الفِكْر، حاضرَ البديهةِ، فلا يعرف المرادَ باللّحْظ، كما لا يفهمهُ باللفظِ، ولا يُعاينُ فى الناظرِ ما يجرى فى الخاطرِ، ولا يستطيع أن يُدْرِكَ ما يرمى إليه مُحَدِّثُهُ، ولا أن يشاركَه فى رأيه . وقد تكون المرأة وسيمة الوجهِ، حَسَنَة المنظَرِ، جميلة الملبَسِ، ولكنها فاقدة ذلك النشاطَ الفكرىَّ والاتقادَ العقلىَّ، فتعجزُ عن التأثير فى غيرها، أو اجتذابِهِ أو السيطرةِ عليه، فهى كصورة جميلةِ المنظرِ، ولكنها فاقدة الروح الفنية، تلك الروح التى تؤثر فى الصورة، فتعطيها قوةً وتأثيراً، وحياة معنويةً .

فللنشاط العقلى تأثير حسن فى شخصية الإنسان، وفى ارتفاع منزلته بين إخوانهِ وذويه . وللغباوةِ وقلةِ الفطنةِ والكسلِ العقلىّ أثر سىء فى خمولِ الشخصِ وتأخرهِ وعجزهِ، وارتكابهِ الجرائم أحياناً . ولا عجبَ إذا قلنا إنَّ معظمَ المجرمين من الأغبياء وضعافِ العقولِ . وتبدو شخصيةُ

الأذكياء فى أعمالهم وأقوالهم ، كما تبدو فى منطقهم وتفكيرهم المنظَّم ، وآرائهم المرتَّبة ، وحُجَجِهم القوية . وحسن اعتذارهم ، وبُعد نظرهم ، وقدرتهم على التخلص بسهولة من المشكلات التى تعترضهم بما أوتوا من نشاطِ عقلى ، وحدّة ذِهن ، وصدق حسٍّ .

وممن كان يُشهَد لهم بالذكاء وحضور البديهة ، كثير من رجال العرب ونسائهم وأطفالهم . ولنذْكرْ لك كثيراً من قصصهم فنقول :

قِيلَ للعبَّاسِ بنِ عبدِ المطلب : أنتَ أكبرُ أم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو عليه الصلاةُ والسلامُ أكبرُ منِّى ، وأنا وُلِدتُ قبلَه .

وقيل : شخَصَ[(١)] مُضَرُ وربيعةُ وإيادٌ وأنمارٌ أولادُ نِزارٍ إلى أرض نَجران ، فبينما هم يسيرون إذ رأى مُضرُ كَلأً[(٢)] قد رُعِىَ ، فقال : البعيرُ الذى رعَى هـذا أعورُ . فقال ربيعةُ : وهو أزْوَرُ . وقال إيادٌ : وهو أبْتَرُ . وقال أنمارٌ : وهو شَرُودٌ .

فلم يَسيرُوا إلاّ قليلاً حتى لقِيَهم رجل على راحلة ، فسألهم عن البعير . فقال مضرُ : أهو أعورُ ؟ قال : نعم . قال ربيعةُ : أهو أزورُ[(٣)] ؟ قال : نعم . قال إيادٌ : أهوَ أبترُ[(٤)] ؟ قال : نعم . قال أنمارٌ : أهو شرودٌ[(٥)] ؟ فقال الرجل : نعم ، هذه واللهِ صِفاتُ بعيرى دُلّونى عليه .

---

(١) شخَص من بلد إلى بلد : ذهَب (٢) الكلأ : العُشب رَطباً كانَ أو يابساً (٣) الأزور : الذى يقبل على شق حين سيره لميل فى صدره ، أو لعلو أحد جانبيه (٤) بَتره : قطعه قبل الإتمام . والأبتر : المقطوع الذنَب (٥) شردَ البعيرُ : نفرَ ، فهو شاردٌ ، وشَرود

فحلفوا أنهم ما رأوْه . فلزِمهم ، وقال : كيف أصدِّقكم وأنتم تصفون بَعيرِى بصفته ؟

فساروا حتى قربوا نجرانَ ، فنزلوا بالأفعى الجُرْهُمِىِّ . فنادى صاحبُ البعيرِ : هؤلاء القومُ وصَفوا لى بعيراً فقدته بصفته ، ثم أنكروه .

فقال الجُرهمى : كيف وصفتموه ولم ترَوْه ؟

فقال مُضرُ : رأيته يرعَى جانبًا ويدَعُ جانبًا ، فعلمتُ أنه أعورُ . وقال ربيعةُ : رأيتُ إحدى يديه ثابتةَ الأثرِ ، والأخرى فاسدَةَ الأثرِ ، فعلمت أنهُ أفسدَها بشدةِ وطئِه لازْوِرَارِه . وقال إيادٌ : عرفتُ بَتَرَهُ باجتماعِ بَعره ، ولو كانَ ذَيَّالاً[1] لتفرّق . وقال أنمارٌ : إنما عرَفتُ أنه شَرودٌ لأنه كان يرعَى فى المكان المُلتَفِّ نَبْتُهُ ، ثم يجُوزه إلى مكان أرَقَّ منه وأخبثَ .

فقال الأفعى : ليسوا بأصحاب بعيرك . ثم سألهم عن أمرهم ، فأخبروه . فرحَّب بهم ، وأضافهم ، وبالغَ فى إكرامهم[2] . وهـذا مثَلٌ واضح للفراسة العربية ، والذكاء العربى ، وقوة الملاحظة .

وحكى : دخل مَعْنُ بنُ زائدةَ على أبى جعفر المنصورِ ، فقاربَ خَطوَه ، فقالَ المنصور : لقد كبِرتْ سنك . قال : فى طاعتك . قال : وإنك لجَلْد . قال : على أعدائك . قال : وأرى فيك بقيةً . قال : هى لك . فانظر إلى أجوبة معن تجد أنها تدل على سرعةِ الخاطر ، وحُسن الجواب .

---

(١) الذيَّال : الطويل الذيل ، المتبختر فى مَشيه (٢) من ثمرات الأوراق للحموى جـ ١ ص ١٠٥

وقيل إنَّ غلامًا اشرأبَّ(١) للكلام وقد حضر مع وفد أهل الحجاز لما آستُخْلِف عمرُ بنُ عبد العزيز (رضى الله عنه) فقال عمرُ : يا غلامُ ، لِيتكلمْ من هو أسنُّ منك . فقال الغلامُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنما المرءُ بأصغريه : قلبِهِ ولسانِهِ ؛ فإذا منح اللهُ عبدَه لسانًا لافظًا ، وقلبًا حافظًا ، فقد أجادَ له الاختيارَ ، ولو أن الأمورَ بالسنِّ لكان ههنا من هو أحقُّ بمجلسِك منك ! فقال عمرُ : صدقتَ ؛ تكلمْ فهذا السِّحرُ الحلالُ. فقال: يا أميرَ المؤمنين ، نحن وفدُ التهنئة ، لا وفدُ المَرْزِئة(٢) ، ولم تُقدِمْنا إليك رغبة ولا رهبة ؛ لأنا قد أمِنَّا فى أيامك ما خِفنا ، وأدركنا ما طلبنا . فسأل عمرُ عن سنِّ الغلام ، فقيل عشرُ سنين .

وقد أُدخِل طفلٌ يُدعَى الرَّكَّاضَ وهو آبنُ أربعِ سنواتٍ إلى الرشيد ، ليتعجبَ من فطنتهِ ، فقال له : مَاذا تحبُّ أن أهَبَ لكَ ؟ قال : جميلَ رأيك ؛ فإنى أفوز به فى الدنيـا والآخرة . فأمَر بدنانيرَ ودراهمَ فصبتْ بين يديه . فقال له : اختَرِ الأحبَّ إليك . فقال : الأحبُّ إلىَّ أميرُ المؤمنين ، وهذا من هذين ، وضربَ بيده إلى الدنانيرِ . فضحك الرشيدُ ، وأمرَ بضمه إلى وُلْده والإنفاق عليه .

وزار خليفة من بنى العباس يومًا وزيرَه فى داره ، وكان له ولد نجيب . فلما جلس الخليفةُ أَجلس الصبىَّ إلى جانبِـه وسأله : « أَدَارُ الخليفةِ

---

(١) تطلع (٢) الاستعطاء

أحسنُ أم دارُ أبيك ؟ » . فأجابَ الصبيُّ على الفور : « متى كان الخليفةُ فى دار أبي فدارُ أبي أحسنُ » . ثم أراه خاتمًا ثمينًا فى خنصره وسأله : « هل رأيتَ خيراً من هذا الخاتم ؟ « فقال الصبى : « نعم ، اليد التى هو فيها خير منه » . فدهِشَ الخليفة من حسن جوابه ، وقال له : « هل تحب أن تكونَ خليفةً بعدى ؟ » فقال الصبى : « ابنُ الخليفة أولى مني ؛ فهو صاحبُ الحق فى الخلافة ، وأنا لستُ من الخائنين » . فزاد سرورُ الخليفة من هـذَا الجواب الذى يدل على الذكاء والولاء ، والتفتَ إلى أبيه وقال له :

« لا بد أن يكون لابنك هذا شأنٌ متى بلغ الرجولة » .

ودخل المأمونُ يومًا بيت الدِّيوان ، فرأى غلامًا جميلاً على أذنه قلمٌ ، فقال : مَنْ أنتَ يا غلام ؟ قال : أنا الناشىء فى دولتك ، المتَقلّبُ فى نعمتِك ، المؤمِّلُ لخدمتك ، الحَسنُ بنُ رَجاء . فقال المأمون : بالإحسانِ فى البديهة تفاضَلت العقولُ ، ارفعوا هذا الغلامَ فوق مرتبته .

وقيلَ إن رجلاً تكلم بين يدَى المأمونِ فأحسنَ ، فقال المأمون : ابنُ مَن أنتَ ؟ قال : ابنُ الأدب يا أميرَ المؤمنين ، قال : نِعْم النسَبُ انتسبْتَ إليه .

ودَخل إياس بنُ معاويةَ الشامَ ، وهو غلام صغير ، فتقدّم على خصم له أمام بعض القضاة ، وكان الخصم شيخًا كبيراً ، ثم صال[1]

---

(١) استطال ، وجاوز حد الاعتدال .

عليه إياس بالكلام . فقال له القاضى : خَفِّضْ[1] عليك ، فإنه شيخ كَبيرٌ . قال : الحق أكبرُ منه . قال : اسكتْ ! قال : فمَن ينطِق بحجتى ؟ قال : ما أراك تقولُ حقًّا . قال : لا إلهَ إلا الله ! فدخل القاضى على عبد الملك بنِ مروانَ فأخبره . فقال : اقضِ حاجته الساعةَ وأخرِجْه من الشام لئلا يفسدَ علىّ الناس .

وحُكِيَ أنه لما مدح أبو تمام الطائى[2] الشاعرُ المعروفُ أحمدَ بنَ المعتصمِ بقصيدته السينيّة وانتهى فيها إلى قوله :

إقدامُ عمْرٍو ، فى سماحَةِ حاتمٍ * فى حِلْمِ أحنفَ ، فى ذكاء إياسِ

قال له أبو يوسف يعقوبُ الكِندى الفيلسوف ، وكان حاضراً : « الأميرُ فوق من وصفْتَ » . فأطرقَ مليا ، وقال :

لا تنكِروا ضربِى له مَن دونَهُ * مثلاً شَرُوداً فى النَّدى والبَاسِ

فاللهُ قد ضربَ الأقلَّ لنوره * مثلاً من المِشكاة والنّبراسِ

ولما أُخِذت القصيدةُ منْ يده لم يجدوا فيها هذين البيتين . فعجبوا من سُرعته وفِطنته . ولما خرج قال الفيلسوفُ : هذا الفتى يموتُ قريبًا ، فكان كما قال .

ولما قصد أبو تمام المذكور عبدَ الله بنَ طاهرٍ بخُراسان وامتدحه بالقصيدة التى أولها : « هُنَّ عَوادِى يوسفٍ وصواحبُه »

---

(١) هوّن (٢) نشأ بمصر ، وكان يسقى الناس بالجرة فى جامع عمرو بالفسطاط ، وكان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد .

أنكرَها عليه أبو العَمَيْثَل وقال له : لِمَ لا تقول ما يُفهمُ ؟ فقال له : لِمَ لا تفهم ما يُقال ؟ فاستحسن منه هذا الجوَاب على البديهة .

وقال (ثمامةُ بنُ أشرسَ) أحد كبار العلماء زمن المأمون : « دخلت إلى صديق لى أعودُه ، وتركتُ حمارى بالباب ، ثم خرجت ، وإذا بصبيٍّ عليه ، فقلت له مؤنباً ، ولائماً : « لِمَ تركبُ حمارى بغير إذنى ؟ »

فأجابنى الصبى قائلاً : « خفت أن يذهبَ فحفظتُه لك » . فعجبت من هذا الجواب ، وأردت أن أُسكِتَ الصبى ، وقلت له :

لو ذهب ما باليتُ بذهابه . فأجابنى على الفور قائلاً : « إن كان هذا رأيك فى الحمار ، فاُعمل على أنه قد ذهب ، وهبْه لى ، وآربحْ شكرى . » فلمْ أدْرِ ما أقول .

وقال الحجاجُ لامرأةٍ من الخوارج : والله لأعدَّنَّكم عدًّا ، ولأحصُدنَّكم حصْداً . فقالت : أنت تحصِد ، والله يزرع ؛ فانظر أين قدرةُ المخلوقِ من قدرة الخالق .

ودخل رجل على شُرَيْحٍ القاضى يخاصم آمرأة له فقال : السلام عليكم . قال : وعليكم . قال : إنى رجل من أهل الشام : قال : بَعيدٌ سَحيق . قال : وإنى قدِمْتُ إلى بلدكم هذا . قال : خير مَقدم . قال : وإنى تزوجتُ آمرأة . قال : بالرِّفاء والبنين . قال : وإنها ولدت

غلامًا . قال : لتهنأ بالفارس . قال : وقد كنتُ شرطْتُ لها صداقَها . قال : الشرط أمْلَك . قال : وقد أردت الخروجَ بها إلى بلدى . قال : الرجلُ أحقُّ بأهله . قال : فاقض بيننا . قال : قد قضيت .

وخرج الحجاج ذاتَ يومٍ فأصْحَرَ[١] ؛ وحضر غَدَاؤه فقال : آطلُبوا من يتغدى معى . فطلبوا ، فإذا أعرابىٌّ فى شَمْلةٍ[٢] فأُتِىَ به . فقال : السلامُ عليكم . قال : هَلُمَّ أيها الأعرابى ؟ قال : قد دعانى مَن هو أكرمُ منك فأجبته . قال : ومن هو ؟ قال : دعانى اللهُ ربى إلى الصوم ، فأنا صائمٌ . قال : وصوم فى مثل هذا اليوم الحارّ ؟ قال : صُمت ليوم هو أحرُّ منه . قال : فأفطِر اليومَ وصُم غداً . قال : ويَضمنُ لى الأميرُ أنى أعيشُ إلى غد ؟ قال : ليس ذاك إليه . قال : فكيف يسألنى عاجلاً بآجل ليس إليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : ما طيَّبه خبازك ولا طبّاخك ، قال : فمن طيَّبَه ؟ قال العافية . قال الحجاج : بالله ما رأيت كاليوم ، أخرِجُوه !

ومِن المنقول[٣] أن بَعض اللصوص دخل بيتًا ومعه جماعة تحت أمره ونهيه فى القتل والسرقة ، فظفِروا بصاحبِ البيت ، وأوقفوه للقتل فتدخلَ عليهم فى إبقاء مُهْجَته[٤] ، وأخْذِ ما فى البيت بكماله . فقال

---

(١) برز إلى الصحراء . (٢) الشملة كساء دون القطيفة يشتمل به .
(٣) من كتاب الأذكياء لابن الجوزى . (٤) المهجة : الدم ، وقيل دم القلب خاصة . وخرجت مهجته أى روحه .

كبيرُهم : حَلِّفوه بالطلاق الثلاث وعلى المصحف أنه لا يُعلِمُ بهم أحداً . فأصبح الرجلُ يرى اللصوصَ يبيعون متاعه ، ولا يقدر أن يتكلمَ لأجل اليمين . فجاء إلى أبي حنيفة وأعلمَه حاله ، فقال له أحضِرْ أكابِرَ حَيِّك ، وأذِّن جيرانِك ، وإمامَ جماعَتِك . فلما حضروا قال لهم أبو حنيفةَ : هل تحبون أن يردَّ اللهُ على هذا الرجلِ متاعَه ؟ قالوا نعمْ . فقال اجمَعُوا دَاعِرِيكم[١] ، فأدخِلوهم الجامع ، ثم أخرِجوهم واحداً واحداً . وكلما خرج منهم واحدٌ قولوا : هذا لِصُّك ؟ فإن كان ليس بلصِّه قال لا ، وإن كان لصَّه فلْيَسْكتْ . فإذا سكت فاقبضوا عليه . ففعلوا ذلك . فردَّ الله عليه ما سُرِقَ منه .

ومنه أن الإمامَ أبا حنيفةَ (رضى الله عنه) قال : دخلت الباديةَ ، فاحتجت إلى الماء ، فجاءنى أعرابىٌّ ، ومعه قربةٌ ملآنة ، فأبى أن يبيعَها إلا بخمسة دراهم . فدفعتها له ثم أخذتُ القربة ، فقلت : ما رأيك يا أعرابى فى السَّوِيقِ ؟ فقال : هات ! فأعطيته سَوِيقًا مَلتُوتًا بزيت ؛ فجعل يأكل حتى امتلأ ثم عطِش ، فقال : علىّ بشَرْبة ! فقلت بخمسة دراهم على قدح من ماء . فاستردت الخمسة ، وبقى الماء .

وقيل إن غلامًا لقِى أبا العلاء المعرِّىَّ فقال : من أنتَ يا عمِّى ؟ أأنت القائل فى شعرك :

وإنى وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه ☆ لآتٍ بما لم تستطعْه الأوائلُ

---

(١) الداعر : الفاسد .

قال : نعم . قال : يا عمّاهْ ، إن الأوائلَ قد رتبوا ثمانيةً وعشرين حرفا للهجاء ، فهل لك أن تزيدَ عليها حرفًا ؟ فدهِش المعرّىُّ من ذلك ، وقال : إن هذا الغلامَ لا يعيشُ لشدة حِذقِه ، وتوقد فؤاده .

وحَكَى المدائنى قال : خرج ابن زياد فى فوارِسَ ، فلقوا رجلا ومعه جارية لم يُرَ مثلُها فى الحسْن ، فصاحوا به : خلِّ عنها ! وكان معه قوسٌ ، فرَمَى أحدهم ، فهابوا الإقدامَ عليه ، فعاد ليرمى فانقطعَ الوَترُ ، فهجموا عليه ، وأخذوا الجارية ؛ فهرب ، واشتغلوا عنه بالجارية ، ومدّ بعضهم يدَه إلى أذنها وفيها قُرط ، وفى القُرط دُرة يتيمة لها قيمة عظيمة . فقالت : وما قَدر هذه الدّرّة ؟ إنكم لو رأيتم ما فى قَلَنْسُوَته من الدرر لاستحقرتم هذه . فتركوها واتَّبعُوه ، وقالُوا له : ألْق ما فى قَلَنْسُوَتك ! وكان فيها وَتر قد أعدّه فنَسِيَه من الدّهَش ، فلما ذكَرَه ركّبه فى القوس ، ورجَع إلى القوم ، فولَّى القومُ هاربين ، وخلوا الجاريةَ .

وقيل إن موسى الهادى كان يومًا فى بُستان . ومعه أهلُ بيته وخاصته ، وهو راكب على حمار وليس معه سلاح ، فدخل عليه حاجبهُ ، وأخبره أن رجلاً من الخوارج جِيء به أسيراً ، وكان الهادى حريصًا على الظَّفَر به ، فأمر بإدخاله ، فأُدْخِلَ عليه بين رجلين قد أمسكا بيديه . فلما رأى الخارجىُّ الهادى جذب يديه من الرجلين ، واستلّ سيف أحدهما ، ووثب نحوَ الهادى . ولما رأى ذلك مَن حولَ الهادِى مِن أهلِه وخاصتِه

فرّوا جميعًا ، وبقى الهادى وحده . فثبتَ على حمارِه بمكانِه حتى إذا قرُب الخارجيّ منه ، وكاد يعلوه بالسيف ، قال الهادى : آضربْ يا غلامُ عنقَه !! فالتفت الخارجيُّ حين سمع ذلك ، فأسرع الهادي ، ووثب عن سرجه ، وقبض على الخارجيّ ، وانتزع منه السيفَ فذبحه به ، ثم عاد إلى ظهر حماره ، وتراجع إليه أهله و بطانته يتسللون . وقد ملئوا رُعبًا وخجلاً ، فلم يخاطبهم فى ذلك الهادى بحرف واحد .

ويُحكَى أن أعرابيًا مدحَ أميرًا بقصيدةٍ بديعةٍ ، فلما قرأها آستكثَرها عليه بعضُ الحاضرين . ونسبَه إلى سَرِقتِها . فأراد الأميرأن يعرفَ حقيقةَ الحالِ . فأمر لهُ بمُدٍّ من الشعير ، وقال فى نفسه : إن كان له بديهةٌ فى الشعرِ فلا بدَّ أن يقولَ شيئًا فى شَرْح حاله .

فأخذ المُدَّ الشعير فى ردائه ، وخرج ، فقال الأمير للبوابين سرًّا لا تُمكِّنوه من الخروج . فوقف الأعرابىُّ فى الدِّهليزِ حائرًا ، فبعث إليه الأميرُ من سأله وقال له : ما شأنك يا أعرابىُّ ؟

فقال : إنى آمتدحت الأميرَ بقصيدةٍ .

قال : فما أجازكَ عليها ؟

قال : هذا المُدَّ من الشعير . فقال له : هل قلتَ فى ذلك شيئًا ؟

قال : نعم . قال ما هو ؟ فأنشد على البديهة :

يقولون لى أرْخَصتَ شِعركَ فى الوَرَى
فقلتُ لهم من عُدْمِ أهلِ المكارِم

أُجِزْتُ على شِعرى الشعيرَ وإنه
كثيرٌ إذا خلَّصتُه من بهائِمِ

فلما بلغ الأميرَ هذان البيتان أُعْجِب بهما ، وعلم أن القصيدة من نظمه ، فأمر له بجائزةٍ سَنيَّةٍ .

وقيل كان أحمدُ بنُ طولون يأكل يوماً فى إحدَى حدائقه ، فرأى سائلاً فى ثياب رَثَّةٍ، فأرسل إليه غلاماً برغيف ودجاجة ، وشَريحة لحم، وقطعةٍ من الحلوى . فرجع الغلام من غير أن يأخذَ السائلُ منه شيئاً ، فأمرَ ابنُ طولون به فأُحضِر ، وأخذ يسأله ، فأجاب من غير أن يتلجلجَ أو يضطربَ من هيبته ، فاتَّهمه بأنه جاسوسُ بعض الأعداء ، فاعترف الرجلُ بذلك .

فقال بعضُ الحاضرين : هذا واللهِ السحرُ ، فقال أحمدُ بنُ طولون ، ما هو بسحرٍ ، ولكننى رأيت سوءَ هيئةِ الرجلِ ، وإباءه عن طعامٍ يَتمنى الشبعانُ أن يأكله ، وكذلك رأيتُ جرءَتَه وثباتَه ، فحكمتُ عليه بما حكمتُ .

وممن كانوا مَدِينين لذكائهم بنجاحهم فى حياتهم من الإفرنجِ « أبراهام لِنْكولن » ؛ أحد رؤساء الولايات المتحدة الذين تدين لهم تلك الولايات اليوم بما فيها من تقدم ورقى وإصلاح . « ولد فى ١٢ من فبراير سنة ١٨٠٩ » . وكان أبوه نجاراً عادياً ، وقد تُوفِّيَت والدته ولما

يبلغْ من العمر عشرَ سنين . تعلم مبادئ القراءة والكتابة وهو طفل . وكانت أمه قبل وفاتها تُعنَى به العناية كلها ؛ فاختارت له من الكتبِ الكتابَ المقدسَ ، وكتاباً عن حياة « جورج واشِنْطون » فقرأهما وأعاد قراءتهما مراراً حتى كاد يحفظهما . وكان فى بعض الأحيان يسير أميالاً لِيستعيرَ كتاباً يقرؤه . كان فى حياته الأولى عاملاً ، ثم ثقَّفَ نفسه بالقراءة فى أوقات الفراغ ، وكان فى الليل يُوقِد قِطعاً من الخشب، ويتدفأ بنارِها ، ويقرأ على نُورها ، ولولا ضيقُ المقام والخوفُ من الخروج عن الموضوع لكتبنا عنه الكثيرَ ، فارجعْ إلى تاريخِ حياته إن شئت . وكلُّ ما نريد أن نذكرَه هو أنه درسَ القانونَ أخيراً ، ثم كان محامياً مِدْرَهاً يشار إليه بالبَنان ، حاضرَ الذهنِ ، مُتَّقِدَ الفكرِ ، قويَّ الشخصية ، ثم كان عضواً بمجلس النواب ، فسياسيًّا ، فرئيساً للولايات المتحدة بأمريكا . فضَّلَتْه زوجه — وكان فقيراً — على مُنافسٍ آخرَ من الأغنياء . وقد اختارته زوجاً لذكائه ، وإخلاصه ، وشخصيته . تنبأتْ أنه سيكونُ عظيماً ، وقد كان مثالاً للعظمة . وإذا كان « واشنطون » قد حرَّرَ الولايات المتحدة ، فقد قَضى « لِنْكُولْن » على ما فيها من الاضطرابات ، وقام بكثير من الإصلاحات ، وقد تركَ « لِنْكُولْن » آسماً خالداً محبوباً ، لاَ منَ الأمريكيِّين فحسْبُ ، بل من أبناءِ الإنسانية فى جميع الشعوب . وقد كان يعملُ للإنسانية ، ويفكرُ كثيراً فى الإنسانية . ويُنسَب إليه كثيرٌ من الحكايات التى تقرُب من الخيالات والروايات .

وممن كان لحدَّة ذهنهم وشخصيتهم أثر كبير فى نجاحهم أيضاً « اللُّورد مَاكولِى » الأسكتلندى ؛ فقد كان كاتباً وشاعراً ، وكان مؤرِّخاً وقانونيًّا ، وكان خطيباً وسياسيًّا ، (ولد فى ٢٥ من أكتوبر سنة ١٨٠٠ م . وتوفى فى ٢٨ من ديسمبر سنة ١٨٥٩ م .) أظهر حباً للقراءة ، وتعطشاً للعلم منذ نعومة أظفاره . توسَّمَ فيه أبواه كثيراً من علاماتِ الذكاء والمقدرة العقلية منذ طفولته؛ فقد قلَّدَ «السير وُولْتَرسْكُوت» فى كتابته وعمره لم يزد على سبع سنين ، فكتب ثلاثَ قصائدَ ، ومختصراً تاريخيًّا عامًّا وهو طفل . كان قوى الذاكرة ، محبًّا للعمل ، مُولَعاً بالأدب ، وبخاصة الروايات ، وكثيراً ما لامه أبوه على قراءتها . انتسب فى أكتوبر سنة ١٨١٨ إلى جامعة « كمبردج » ، وحصل على أربع جوائز منها . وفى حياته العملية آشتغل بالقضاء ، ثم آتخذ الأدب مِهنةً له ، ثم آنتسب إلى أحد الأحزاب السياسية ، ونجح فى حياته النيابية نجاحاً باهراً ؛ لنشاطه العقلى ، وتأثيره الخَطَابى ، وإخلاصه فى قوله . وكان يَنْضَمُّ لآرائه كثيرون ، حتى من المعارضين لحزبه . وله خطبة هى آيات بينات يُدافع فيها عن تعميم التعليم المجانى ، تدل على غيرته ، وحضور بديهته . ولم يفخر الشعْبَان : الإنكليزىُّ والأسكتلندىُّ إلى اليوم بأحد من رجال السياسة والأدب فخرَهما بماكُولِى . ومن كتابته تكاد تَلْمِسُ قوةَ حجتهِ ، وروحَ خطابتهِ ، ووضوح لغتهِ ، وصفاء ذهنهِ ، وسلامة ذوقهِ فى كتابته ، وجمالَ تعبيرهِ ، وحسنَ أسلوبهِ ، ووفاءه لبلادهِ

وأقاربه وأصدقائِهِ . تكاد تلمسُ نقدَه المرَّ البريء الذي يُنبيء عن الإخلاصِ والإيمان .

وممن كان لحضور بديهتهم أثر في فوزهم « المستر لويد جورج » رئيس حزب الأحرار بانجلترا ؛ وقد حدث أنه كان يخطب في مجتمع في أثناء الانتخابات ، فسأله أحد الحاضرين مقاطعاً إياه :

« أيذكر (المستر لويد جورج) أباه بمركبته وحماره ؟ فأجابه (المستر لويد جورج) بلَباقته المأثورة : « نعم ، أذكرُ ذلك ؛ أمّا المركبةُ فلا أدرِي عنها شيئاً ، وأما الحمارُ فها هو ذا يذكِّرُني بنفسه » . مُشيراً إلى مَن قاطعَه ، فكان جواباً مضحكاً مُسْكِتاً .

فالنشاط العقليُّ يساعد على النجاة ، كما يساعدُ على النجاح في الحياةِ . ويُنقِذُ الإنسانَ من أدقِّ المراكز ، ويحفظ شخصيتَه في أشدّ المواقف ، ويُسَهِّلُ الصعبَ ، ويُقرِّبُ البعيدَ ، وله أثرٌ كبيرٌ في حُسْنِ الخُلق والسلوكِ . وبالإحصاء وُجِدَ أن أكرمَ حُكام « أوروبة » خُلُقاً في القرون الثلاثة الأخيرة الماضيةِ كانوا على قسطٍ كبير من الذكاء .

الفصل الرابع

٣ ـ المشاركة الوجدانيـــة

العنصرُ الثالثُ من العناصرِ التى تتكوّن منها الشخصية ، يدعَى المشاركةَ الوجدانيةَ ؛ فإذا لم نشعرْ بشعورِ الناس، ولم نشاركْهم فى مَسَرّاتِهم وأحزانِهم ، ولم نتأثرْ بآرائهم وأفكارهم ، فهذا دليلٌ على أننا فى حاجة إلى أن نَضَعَ أنفسَنا موضِعَهم ، مهما كانت علاقتُهم بِنا ، على شرط أن يكون لدينا آستعدادٌ للفهم والتفكير والشعور ، مهما كانت مراكزُنا بالنسبة إليهم ، من غير نظرٍ إلى رئيس أو مرءوس ، غنيٍّ أو فقير، عظيمٍ أو حقيرٍ ، رفيع أو وضيع ، وألا تكون مناصِبُنا العالية حجرَ عَثرةٍ فى سبيل فهْمِنا لغيرنا ، وتقديرِ ظروفهِ المحيطةِ به ، بل تكون معينًا لنا على أن نشاركَه فى حالاته ؛ فنُسرَّ لسرورهِ ، ونتألمَ لآلامِه . وبذلك نمتلك قلبَه .

أما صاحبُ المِزاج الباردِ الذى يتمثَّل فيه الجمودُ والقسوةُ والغلظة ، فلا يتأثرُ لما ينْتَابُ غيره من نَكَبَاتٍ ، ولا يحب أن يتفاهمَ مع أحد ؛ فهو ينفِرُ من الناس ، والناس ينفِرُون منه ، وهو يؤثر فى غيره بالإيذاء ، كما يؤثر الهواء الباردُ فى النبات الغَضِّ الشديد الإحساسِ ، فيتجمدُ قبل أن ينموَ أو يترعرعَ .

ومن أكبر عيوب (نابليون) التى كان يتخلقُ بها ، شدةُ قسوتِهِ على النوعِ الإنسانىّ ، وعدمُ مشاركتِهِ له فى شعورِهِ : ومِنْ ثَمَّ كانت شخصيتُه غير كاملةٍ. وإننا فى الوقت الذى نطالبُ فيه بالعدالة ، نطالب أيضًا بالرحمةِ .

ومن الحكمة — إذا كنتَ رئيسًا — أن تصلَ بالمشاركةِ الوجدانية إلى تنفيذِ جميعِ رغباتِك ، من غير التجاء لإظهار سلطتِك ؛ وأن تفوزَ بطاعةِ مرءوسِيك ، من غير احتماء بالقانون . ومن المهارةِ أن تبينَ لمرءوسيك غلطاتهم ، ونقطَ ضعفِهم ، وتسيِّرَهم كيف تشاء ، بدون أن تحطَّ من كرامتِهم ، وبدون أن تظهرَ لهم أنكَ أعلى وأرقى منهم ، ومن غير اضطرار إلى اتخاذ شدةٍ أو عنفٍ . إذا أمكنك الوصول إلى كلِّ هذا ، كانت شخصيتُك قويةً ، وكان تأثيرُك كبيراً .

وإن قوة التأثيرِ لا تستدعِى قسوةً أو غلظة ، ولكنها تستدعى أن تشاركَ الناسَ فى شعورِهم ووجدانِهم ، وتتألمَ لما يدهمُهم من حوادثِ الدهر ، وتُوَاسيَهم فيما يُلِمُّ بهم من نوائبه ، وتنظرَ إلى حسناتهم قبل سيئاتهم ، وفى صوابهم قبل خطئهم ، وتقدرَ حَسَنَاتِهم إذا أحسنوا ، وتفكرَ فى البواعثِ التى اضطرتهم إلى الخطأ إذا أخطئوا ، وتعدلَ فى أحكامك إذا حكمتَ ؛ لا تنزعُ إلى جانب الظلم ، ولا تميل إلى ناحية التهاونِ . وبهذه الوسيلة تكون قويًّا ، ليِّنًا فى غير ضعف ، متواضعًا فى غير ذلَّة ، موفَّقًا فى عملك ، محبوبًا عند غيرك .

أما هؤلاء الذين يَلجئُون إلى الشدة والقَسْوَةِ دائمًا فهم ضُعَفاء ، يشعرون بالضعف فيلجئُون إلى الغلظة ؛ ظَانّين أنهم بتلكَ الطريقة ، يَسْتُرون ذلك الضعفَ ، ويكمّلون ذلك النقصَ ، مثَلُهم مثَلُ الكلاب تنبَحُ فى الطرقِ ، لا فى ضوء النهار ، بل فى ظلام الليلِ ؛ كى تبحثَ عن فريسةٍ تفترسُها ، أو خيانةٍ تخونُها ، أو طعامٍ تسرِقه . همْ كالكلاب ؛ تسرُّهم عيوبُ غيرِهم ، ويفرحون لهفواتِ سواهم . وأمثالُ هؤلاء لا شخصيةَ لهم ؛ فأشخاصهم مكروهة ، وأسماؤهم منبوذة ، وأفعالهم مذمومة مشئومة .

فالمشاركةُ الوجدانيةُ من أهمِّ عناصرِ الشخصيةِ ، تجعل القلبَ متّقداً ، يشعرُ بشعور غيره ، ويقيس نفسه بمقياسِ سواه من الناس ، يقول « السير وُولْتَرْ سْكُوت(١) » الكاتب الأسكتلنديّ الكبير : « إن المشاركة الوجدانية هى الحلْقة الفضيّة ، أو الرباط الحريرى ، الذى يصلُ القلبَ بالقلب ، ويربِط العقلَ بالعقلِ وبالجسمِ وبالروح » . فإذا كانت الشخصية هى القوة التى يُجتذَب بها غيرنا ، فالمشاركةُ الوجدانية من أهمِّ الأشياء التى بها نتصل بقلوب غيرنا وأرواحهم .

---

(١) Sir Walter Scott (١٧٧١ — ١٨٣٢ م .) من أكبر الكتاب الأسكتلنديين القصصيين المعروفين بالإخلاص ، وصدق العزيمة ، وقوة الإرادة ، له روايات كثيرة ، تمثل الحياة الاجتماعية فى أسكتلندة وغيرها . وشعره أقل منزلة من نثره .

قيل لأعرابى : ما بال المراثى أجود أشعاركم ؟ فقال : « لأنا نقول وأكبادُنا تحترق » . وفى المراثى تبدو المشاركة الوجدانية .

وإذا قَدَرْنَا غيرَنا ، وفكّرنا فيه ، وسُرِرنا لسروره ، وتألمنا لألمه ، فإننا ننتظر منه أن يقابلَ المِثل بالمِثْل ، فيقدرَنا ويفكرَ فينا ، ويشاركَنا فى سعادتنا وشقائنا بوجدانه وقلبه . أما إذا لم نقدِّرْ أحداً ، ولم نفكر فى أحد ، فإنا لا نترقبُ أن يقدِّرَنا أو يفكرَ فينا أحد .

قال أفلاطون : إنّ إشراكَنا غيرَنا فى مَسَرّاتِنا يزيدنا إحساساً بتلك المسرّات . وقال أرسطو : إننا فى حبنا الخير لغيرنا وفى بحثنا عنه نجدُ لأنفسِنا خيراً . وقال سِنِكا : لو أُعطِيتُ الحِكمةَ كلَّها لنفسى على أن أستأثرَ بها وأمنعَها عن إخوتى بنى الإنسانية لكرهت الحكمة .

ومن المشاركة الوجدانية أن يُخْلِصَ الأستاذُ فى نصح طلبته وإرشادِهم ، والتفكير فى عملهم وظروفهم ، ومستقبلِهم ؛ فيقابل الطلبة ذلك بالوفاء والطاعة والتقدير .

فالشخصية القوية تتطلب أن نتأثرَ لغيرنا ، ويتأثرَ غيرنا لنا . ونشعرَ بشعورهم ، ويشعروا بشعورنا . ولا أثر للتربية والتعليم إذا لم يُصحبَا بمحبةِ غيرنا ، والتفكير فيهم بقلوبنا . فالمشاركة الوجدانية يجب أن تتحقق فى القادة : قادة الفكر ، وقادة العمل ؛ حتى تكون لهم شخصية جذابة قوية .

غير أنه ينبغي ألا يتدخل الوجدان والعاطفة في أقوالِنا وأفعالِنا ، وحركاتِنا وسكناتِنا تدخلا كبيراً ؛ حتى نستطيعَ أن نزن الشيء بميزان العدالة ، لا بميزان العاطفة . ويجب ألا ننظر إلى الأمورِ من ناحيةٍ واحدةٍ ، وهي الناحية الوجدانية ؛ لئلا يختل التوازن ، ويصبح العقل عبداً خاضعاً للتأثيرات الوجدانية العاطفية التي تُعْمينا عن حقائق الأشياء وعلاقاتها بغيرها .

وممن تتمثَّلُ فيهم المشاركةُ الوجدانيةُ سيدنا عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه ؛ آنظر إلى ما رواه أسلمُ . قال : خرجت مع عمر بن الخطاب إلى حَرّة واقم[1] ، حتى إذا كنا بِصرار[2] إذا نار تُؤرَّث[3] ، فقال : يا أسْلمُ ، إني أرى هؤلاء رَكْباً[4] قصَّر بهم الليلُ والبردُ . انطلِق بنا . فخرجنا نُهروِل حتى دنونا منهم ؛ فإذا امرأةٌ معها صبيانٌ لها ، وقِدرٌ منصوبةٌ على النار ، وصبيانُها يتضَاغَوْن[5] .

فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء . قالت المرأة : وعليك السلام . فقال : أأدنو؟ قالت : أُدْنُ بخير أو دَعْ . فقال ما بالكم ؟ قالت قصَّر بنا الليلُ والبردُ . قال : ما بال هؤلاء الصبية يتضَاغَون ؟ قالت : الجوع . قال : وأيُّ شيء في هذه القدرِ ؟ قالت : ماء أُسْكتُهم به حتى يناموا . اللهُ بيننا وبين عمر . فقال : أيْ رحمك الله ، ما يُدرِي عمرَ بكم ؟ قالت : يتولى أمورَنا ويَغفُلُ عنا ؟

(١) قرية لبني مرة ، قرب خيبر بظاهر المدينة . (٢) بلد بقرب المدينة .
(٣) أرّث النار : أوقدها . (٤) جمع راكب . (٥) يصيحون .

فأقبلَ عليّ ، فقال : انطلقْ بنــا . فخرجنا نهرولُ حتى أتينا دارَ الدقيق : فأخرَجَ عِدْلا[1] فيه كُبَّةٌ[2] شحم . فقال : آحمِله عليّ . قلت : أنا أحمله عنك . قال آحمله عليّ (مرتين أو ثلاثًا) . كلُّ ذلك وأنا أقول : أنا أحمِله عنك . فقال فى آخر ذلك : أأنت تحملُ عنى وِزرى يوم القيامة ؟ لا أمّ لك !

فحملتهُ عليه . فآنطلقَ وآنطلقتُ معه نهرولُ حتى آنتهينَا إليها ، فألقَى ذلك عندها ، وأخرجَ من الدقيق شيئًا ، وجعلَ يقول : ذرِّى علىّ وأنا أحرِّكُ لكِ . وجعل ينفخ تحت القدر ، وكان ذا لحية عظيمة ، فجعلت أنظرُ إلى الدخان من خِلال لحيته ، حتى أنضجَ الطعام ، وقال : أحْضرِى شيئًا ، فأتته بصفحة فأفرغ الطعام فيهــا ، ثم جعل يقول أطعميهم وأنا أساعدكِ . فلم يزَلْ حتى شبعوا ، ثم خلّى عندها فَضْلَ ذلك ، وقام وقمتُ معه . فجعلَتْ تقول : جزاكَ الله خيراً ، أنت أولَى بهذا الأمر من أمير المؤمنين . فيقول : قولِى خيراً ؛ إنكِ إذا جئتِ أمير المؤمنين وجدتِنى هناك إن شاء الله . ثم تنحَّى ناحيةً ثم آستقبلها ، ورَبضَ مَرْبضَ الأسد ، فجعلْتُ أقول : إن لك لشأنًا غير هذا ، وهو لا يكلمنى ، حتى رأيت الصبيةَ يلعبون ويضحكون ، ثم نامُوا وهدَءوا ؛ فقام وهو يحمد الله ثم أقبل علىّ ، فقال : يا أسلمُ ، إنَّ الجوعَ أسهرَهم وأبكاهم ، فأحببتُ ألا أنصرفَ حتى أرَى ما رأيت فيهم .

---

(١) كيلا . (٢) قطعة .

وهذه الحادثة تدل على أن سيدنا عمرَ كان مثالاً لمشاركةِ العامة فى مسراتها وأحزانها ، يفكر فى الرعية و يقومُ بما يجب عليه نحوها .

ثم آنظرْ إلى المهدى وقد خرَج بعد هدْأةٍ[1] من الليل يطوفُ بالبيت ، فسمع أعرابيةً من جانب المسجد تقول : قومٌ متظلِّمون ، نَبَتْ[2] عنهم العُيونُ[3] ، وعَضَّتْهم السِّنون ، باد رِجالُهُم ، وذهبَ مالُهُم ، وكثر عِيالُهُم ، أبناء سبيل ، وأنضاء[4] طريق ، راعوا وصيةَ الله ، ووصيةَ رسولِ الله . فهل آمِرٌ بخير ؟ كَلأَه[5] الله فى سفره ، وخلفه فى أهله . فأمر نصراً الخادمَ فدفع لها خمسمائةِ درهم .

ثم أَعِدِ النظرَ إلى رفق الخلفاء : قال إبرهيمُ بنُ الحسنِ بنِ سهل : كنّا فى مجلِسِ المأمون وعمْرُو بنُ مسعدة يقرأ عليه الرِّقاع . فجاءته عَطْسة . فلوَى عنقَه ، فردّها ، فرآه المأمون ، فقال : يا عمْرو لا تفعلْ ؛ فإنَّ ردَّ العطسةِ ، وتحويلَ الوجهِ بها يورِثان آنقطاعًا فى العنق .

فقال بعضُ ولد المهدى : ما أحسنَها من مَولى[6] لعبده ، وإمامٍ لرعيته . فقال المأمون : وما فى ذلك ؟ هذا هشام آضطربَتْ عمامتُهُ فأهوَى الأبرشُ الكلبيّ إلى إصلاحها . فقال هشام : إنا لا نتخذُ الإخوانَ خوَلا[7] . فالذى قال هشام أحسنُ مما قلتهُ . فقال عمْرو : يا أميرَ المؤمنين ، إن هشامًا يتكلف ما طُبعتَ عليه فما تُعْدَل فيه ، ليس له قرابتُك من

---

(١) جزء (٢) تركتهم (٣) كبار البلد (٤) جمع نضو : المهزول
(٥) حفظه (٦) المولى هنا : السيد (٧) الخول جمع خائل : العبيد ، الرعاة .

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولا قيامُك بحقّ الله ، و إنك والملوك لكما قال النابغة الذبيانى :

ألم تر أن الله أعطاكَ سَورة * يرى كل مَلْكٍ دونها يتذبذب
كأنك شمس والملوكُ كواكب * إذا طلعتْ لم يبْدُ منهن كوكبُ

ثم آنظر إلى الشعور نحو الفقراء :

دخلتْ أعرابيةٌ على عبد الله بن أبى بَكرةَ بالبصرة ، فوقفَتْ بين السّماطين[1] . فقالت : أصلح اللهُ الأمير ، وأمتع به . حدرَتْنا إليك سَنةٌ آشتدَّ بلاؤُها ، وآنكشفَ غِطاؤُها ، أقودُ صبيةً صغاراً ، وآخرين كباراً ، فى بَلدة شاسعة ، تخفِضُنا خافضةٌ ، وترفعنا رافعةٌ ، لمُلمات من الدهر برَيْن عظمى ، وأذهبْنَ لحمى ، وتركتنى وَالِهَةً[2] أدُورُ بالحضيض ، وقد ضاقَ بى البلدُ العريض ، فسألتُ فى أحياء العرب : مَن الكاملةُ فضائلُه ، المُعْطَى سائلُه ، المكفِيُّ نائلهُ ، فدُلِلْتُ عليك — أصلحك اللهُ تعالى — وأنا آمرأة من هَوازن ، وقد مات الوالدُ ، وغاب الرافِدُ[3] ، وأنتَ بعد الله غِيَاثِى[4] ، ومُنتَهى أملى ، فافعلْ بى إحدى ثلاث :

إما أن تردَّنى إلى بلدى ، أو تحسِنَ صَفَدِى[5] ، أو تُقيم أَوَدى[6] ، فقال : بل أجمعها لك . فلم يزَلْ يُجرِى عليها كما يُجرِى على عياله حتى ماتت .

---

(١) السماطان من النخل والناس : الجانبان : يقال مشى بين السماطين .
(٢) متحيرة من شدة الحزن (٣) الرافد : المعطى والمعين
(٤) منقذى ، وفيك نجدتى (٥) الصفد : العطاء (٦) اعوجاجى

وقيل : أُحضر إلى المأمونِ رجلٌ قد أذنبَ ، فقال له المأمونُ : أأنت فعلتَ كذا وكذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أنا الذى أسْرَفَ على نفسِهِ ، واتكلَ على عفوِكَ ؛ فعفا عنه .

وحُكى : أن عبدَ الملك بنَ مروان غضِبَ على رجل فهرَب منه ، فلما ظفِر به أمر بقتله . فقال له الرجل : إن اللهَ قد فعلَ ما أحببتَ من الظفَر ، فافعلْ ما يحبُّهُ من العفو ؛ فإن الانتقامَ عدل ، والتجاوزَ فضل ، والله يحب المحسنين ؛ فعفا عنه .

وقيل إنَّ دماءً وقعت بين حيَّيْن من قريش ، فأقبلَ أبو سفيان ، فنظر الجميع إليه ، فقال : يا معشر قريش ، هل لكم فى الحقِّ أو فيما هو أفضلُ من الحق ؟ فقالوا : وهل شىءٌ أفضلُ من الحقِّ ؟ قال : نَعَمْ ، العفوُ . فبادرَ القومُ فاصطلحوا .

وذُكرَ عن محمد بنِ حُمَيد الطوسىّ أنه كان يومًا على غَدائه مع جُلسائه ، وإذا صيحةٌ عظيمة على باب داره ، فرفعَ رأسَه ، وقال لبعض غلمانه : ما هذه الضجَّة ؟ مَن كانَ على الباب فلْيدخلْ ؛ فخرج الغلام ثم عاد إليه وقال : إن فلانًا أُخِذَ وقد أُوثِق بالحديد ، والغلمان ينظرون أمركَ فيه ؛ فرفع يده من الطعام ؛ فقال رجل من جلسائه :

الحمد لله الذى أمكنَكَ من عدوك ، فسبيله أن تسقِيَ الأرضَ من دمه ، وأشار كلٌّ من جلسائه عليه بقتله على صفةٍ اختارها ، وهو ساكت ، ثم قال :

يا غلامُ ، فُكَّ عنه وثَاقه ، ولْيدخلْ إلينا مكرّمًا ، فأدخِل عليه رجل لا دمَ فيه ، فلما رآه هشَّ إليه ، ورفع مجلِسَه ، وأمر بتجديدِ الطعام ، وبَسَطه بالكلامِ ، ولقَّمَه حتى انتهى الطعام ، ثم أمر له بحُلة حسنة وصلة ، وأمر بردِه إلى أهله مكرّمًا ، ولم يعاتبه على جُرم ولا جناية . ثم التفت إلى جلسائه وقال لهم : إن أفضلَ الأصحابِ من حضَّ الصاحبَ على المكارِمِ ، ونهاه عن ارتكاب المآثِمِ ، وحسَّنَ لصاحبه أن يجازيَ الإحسان بضِعفه ، والإساءةَ بصفحِه ؛ إنا إذا جازيْنا من أساء إلينا بمثل ما أساء فأين موقِعُ الشكر على النعمة فيما أُتيحَ من الظَّفَر ؟

وقيل : غضب هارونُ الرشيدُ على حُمَيدٍ الطوسِيّ ، فدعَا له بالسيف ، فبكى ، فقال له : ما يبكيك ؟ فقال : واللهِ يا أميرَ المؤمنين ما أفزَعُ من الموت ؛ لأنه لا بدَّ منه ، وإنما بكيتُ أسفًا على خروجي من الدنيا وأميرُ المؤمنين ساخِطٌ عليَّ . فضحك الرشيد ، وعفا عنه .

وقال خَالدُ بنُ عبد الله لسليمانَ بنِ عبد الملك حين وَجَدَ عليه : يا أمير المؤمنين ، إن القدرة تُذهِبُ الحَفِيظةَ ، وأنت تَجِلُّ عن العقوبة ، ونحنُ مُقرُّون بالذنب ، فإن تعفُ عنى فأهل ذلك أنت ، وإن تعاقبنى فأهلُ ذلك أنا ؛ فعفا عنه(١) .

---

(١) انتهى من نهاية الأرب جـ ٦ ص ٦٤ . طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٦

وتمثل المشاركة الوجدانية فى « أبراهام لِنْكُولْن[1] » أحد الرؤساء السابقين للولايات المتحدة بأمريكا ، ومُصْلحها الأكبر ؛ فقد روَى أحدُ قوادِ الجيش قال : فى الأسبوع الأول الذى تسلمتُ فيه العملَ صدر حكم المحكمة العسكرية بإعدام أربعة وعشرين جندياً من الفارين من الجيش . ثم أرسِل الحُكمُ أو (القرار) إلى الرئيس (لِنْكُولْن) للموافقةِ عليه ؛ فرفض ، فذهب القائد إلى مدينة واشنطون ، وقابل الرئيس ، وقال له :

« سيدى الرئيس ، إننا إذا لم نُمَثِّلْ بهؤلاء الفارين شرَّ تمثيل فإن الجيشَ يكون فى خطر عظيم ، والشفقة على الأقليَّة ظلم للأكثرية . »
فأجاب (لِنْكُولْن) :

« أيها القائد ! إن الولايات المتحدةَ قد ملئت بالثكالى من الأرامل، وأرجو ألا تسألنى أن أزيدَ الطينَ بِلَّة ، فإنى لن أجيبَك إلى رغبتك . »
وعفا عنهم جميعاً .

وفى يوم من الأيام أَصدرَ أمراً بالعفو عن جندى حُكم عليه بالقتل لأنه وُجد نائماً فى مركزِ حراسته ، ثم قال : « إنى لا أستطيع أن ألقَى الله ودمُ هـذا الشاب المسكينِ على ملابسى . إنى لا أقبل أن يُضربَ بالرصاص وقد غلبه النوم لشدة تعبه » . وبعد أشهر قتل ذلك الشاب فى أثناء الحرب ، وقد وُجد معلَّقاً صورة (لِنْكُولن) على قلبه ، كاتباً عليها : « حفظ اللهُ الرئيسَ لنكولْن » .

(١) ولد فى ١٢ من فبراير سنة ١٨٠٩ ، وقتل فى ١٥ من ابريل سنة ١٨٦٥ م.

وبينما كان (لنكولن) يزورُ جرحى الحرب إذ سمع جريحًا يَئِنُّ وهو فى النَّزع الأخير ويردّد : « أمّى ، أمى » ؛ فبكى (لنكولن) وذهب إليه ، وانحنى عليه ، وسأله : ماذا أستطيع أن أفعلَ لك يا بنىّ العزيز ؟ فأجاب الجريح : « أرجو إرسالَ هذه الرسالة إلى أمى » . فازداد بكاء (لنكولن) وأقنعه بصوت يملؤه الحزنُ والعطفُ بتنفيذ رغبته . وأمر بإرسال رسالته فى الحال إلى أمه مع رايةٍ خاصة .

وحدث أن رأى الرئيس (لنكولن) غلامًا صغيرًا ممتقعَ اللونِ ، نحيفَ الجسمِ ، ضعيفَ القوةِ ، واقفًا بجانب القصر الأبيض ، فدعاه الرئيسُ ، وقال له : أقبِلْ يا بنى وأخبرْنى بما ترغب ، فتقدمَ الغلامُ نحوه ، وأحنى رأسَه احترامًا له ، وقال والخوف يبدُو من نبَرَاتِ صوته : « مولاى : كنت أشتغلُ فى مصنع ، فطردنى صاحبُه ، فمرضتُ ، فذهبتُ إلى المستشفى ، فمكثتُ به مدةً ليست بالقصيرة ، والآن لا مأوَى لى ؛ فقد قتل أبى فى الجيش ، وماتت أمى وأنا صغير ، وليس لى إخوة ولا أخوات ، ولا أصدقاء ، وليس هناك من يَعُولُنى . » ثم أخذ يبكى . فامتلأت عينا (لنكولن) دموعًا ، وسرعانَ ما فرَّحه ، وأدخل السرورَ فى قلبه . وأمر أحد الموظفين بالعناية به ، والقيام بشئونه وتربيته؛ ولا عجبَ فقد كان (لنكولن) يحب الفقراء ، ويعطف على المساكين ، ويُشفق على الإنسانية ، وهو خيرُ مثَلٍ للمشاركة الوجدانية .

وممن كان يشارك الفقراء فى آلامهم الأديب الإنكليزى « صامويل جونسون » (١٧٠٩ — ١٧٨٤م) ؛ فقد كان دائماً مستعدًّا للإحسان إلى المساكين ، والعطف على البائسين ، وكان إذا مرَّ فى طريقه بالفقراء وهم نائمون فى الشارع ، وضع فى يَدِ كلٍّ منهم قطعة من النقود ؛ حتى يشعرُوا بشىء من السّرور بعد يقظتهم ؛ ولا غرابةَ فقد كان جونسون فقيراً ، جرَّب آلامَ الجوع ، ولا يشعر بالشىء شعوراً قوياً إلا من يجرِّبه .

وقد دُعِى الطبيب « أولِيفَرجُولْدسْمِث » لزيارة عامل مريض فى بيته ، فوجد أن الرجلَ ليس فى حاجة إلى الدواء ، ولكنه فى حاجة إلى الغذاء . فطلب الطبيبُ إلى زوج العامل أن تأتىَ معه لأخذ الدواء . وأعطاها صندوقاً . وأمرَها ألا تفتحَه إلا فى منزلها . فلما فتحته فى منزلها وجدته مملوءًا بالنقود ، ووجدت ورقة كتب عليها « يؤخذ منه كلما دعت الحاجة » . وكانت هذه النقود هى كل ما مع (جولدسمث) فى ذلك الوقت . ولمثل هذا فليعمل العاملون .

الفصل الخامس

٤ — الشجاعة

ربما كانت الشجاعةُ أهمَّ عنصر من عناصر الشخصية القوية ، فى أوقات الرخاء والشدة على السواء . ولكنْ ما الشجاعةُ ؟ الشجاعةُ قوةٌ بها يتمكنُ الإنسانُ من السيطرةِ على قواه مع ضبطِ نفسه وقت الخطر الذى يهدّده ، سواء أكان ذلك الخطرُ حقيقياًّ أم وهمياًّ .

وكما أن الشجاعةَ فضيلةٌ فى الجندى والملاّح ، كذلك هى فضيلة فى غيرهما من بنى الإنسان ، وهى خير مقياس يُقاسُ به الإنسان فى أوقات الشدة ، حيثُ يُتَطَلَّبُ الثباتُ أو الإقدام . وبهذا المقياس يمكن وضعُ الشخص فى مرتبته الخاصة بين الشجعان أو الجُبنَاء ، وبين العظماء أو العاديين .

وقد قيل ، وقيل حقاًّ : إن الشجاعةَ تتوقف على القوة الجسمية والعصبية والعَقلية والخُلقية التى لدَى الإنسان . وإن المدنيةَ الحاضرةَ قد قَلَّلت من الشجاعة بين الأفراد ؛ فقد صرَّح أحدُ النظار السابقين لمدرسة « إيتون » الإنكليزية المشهورة بأنه رأى غلامًا دخلتْ فى عينه ذبابة ، فحاولت أمُّه وأخواتهُ الثلاث إخراجَها بغير جَدوى ، ولم يكن الأمر فى حاجة إلى أكثر من أن يتحملَ الولدُ الألمَ دقيقة واحدة ،

ولكنه لم يتحملْ آلامَ دقيقة ـ إن كانت هناك آلام ـ فأخِذَ فى عربة إلى طبيب فى مدينة تبعد خمسة أميال عن القرية . كلُّ هذا من أجل شيء يسير كان فى آستطاعة أى فرد من الأسرة أن يقومَ به بسهولة .

هذه حكاية عن شبان الأمس وأمهات الأمس بانجلترا . أما اليوم فتجد الأمهاتِ والآباء يغرسون الشجاعةَ ، وخُلُقَ الرجولةِ فى نفوسِ أبنائهم من الصغر ، ويعودونهم الصبرَ وضبطَ النفسِ ، وكتمانَ الشعورِ ، وتحمل الألم من الطفولة الأولى .

وبهذه الوسيلة يبثون الشجاعةَ فيهم . ولا يظهر الخُلق المتين ، ولا تبدو الشخصيةُ القويةُ ، إلا بهذا النوع من الشجاعة ، وهو القدرة على آحتمال الآلام . وإن من يستطيع أن يحتمل دقائق أكثر من غيره يمكنه أن يفوز بالنجاح والنصر ، سواء أكان جندياً أم قائداً ، متعلماً أم معلماً ، غنياًّ أم فقيراً .

وبالشجاعة يظهر الفرق الكبير بين الشخصية القوية ، والشخصية الضعيفةِ .

والآن نريد أن نبين مظاهرَ الشجاعةِ وأثرها فى النجاح فى العمل ، وفى الحياة الاجتماعية فنقول :

مظاهر الشجاعة :

أولاً : الشجاعة فى ضبط النفس ؛ وذلك بأن تقفَ موقفاً طبعياًّ بكل شجاعة عند مقابلة الرؤساء ، أو عند الظهور أمام مجتمع لإلقاء محاضرة ،

أو الاشتراك فى مناظرة ، أو التعبير عن رأى ، أو الدفاعِ عن مبدأ أو عقيدة ، بحيث لا نَرْتعدُ ولا نضطربُ ، ونظهرُ بأحسن مظهر فى حديثنا وإلقائنا ، ونبرهنُ بأعمالنا وآرائنا على مقدرتنا بكل لطف وأدب . وإذا لم يكنْ لدى الإنسان قدرة على إظهار مقدرته بالعمل وضبط النفس ، فقد تضيعُ الفرصة الذهبيةُ التى قد لا تصادفه مرة أخرى . وكثيراً ما تضيع الفرصة من الشخص ، ثم يندبُ سوء حظه ، ويشكو الظروفَ والمقاديرَ ، مع أنه لم يكنْ فى حاجة إلى أكثر من الشجاعة فى انتهاز الفرصة حين سنوحها .

وممن كان يتمثل فيهم ضبط النفس جعفر الصادقُ (رضى الله عنه) ؛ فقد حكى أن غلاماً له وقف يصبُّ الماء على يديه ، فوقع الإبريقُ من يد الغلام فى الطسْت ، فطار الرشاشُ فى وجهه ، فنظر جعفر إليه نظرَ مُغْضَب ، فقال : يا مولاى ، « والكاظمين الغيظ » قال : قد كظَمْتُ غيظى . قال : « والعافين عن الناس » . قال : قد عفوت عنك قال : والله يحب المحسنين » . قال : اذهبْ فأنتِ حرٌ لوجه الله الكريم .

ولا سبب يدعو الإنسان إلى الخوف من أبناء جنسه ؛ فقد يكون الخوف مبنياً على وَهْمٍ لا أساسَ له . وإذا وثق المتكلم بنفسه ، وعرف ما يريد أن يقوله ، وعرف كيف يعبر عن خواطره ، وكيف يبرهن على نظريته بالعقل والمنطق ، فإنه يستطيع أن يطمئنَّ إلى نفسه ، ويُمسِك بزمامها ، ويُقابلَ من يشاء ، ويُخاطبَ من يريد ، ما دام متحلياً

بالأدب ، واثقًا بنفسه ، وكان عقلهُ مرتبًا ، وكانت أفكارُه منطقيةً ؛ بحيث لا يتسرع فى ذكر شىء يدل على عقل مضطرب ، أو روح قلقةٍ ، ولا يتظاهر بما ليس فيه . وإذا وثقتَ بما تريدُ أن تقوله ، فهذا وحده كاف لأن تؤثر فى نفوس سامعيك ، وتجعل قلبك وروحك فى إثبات ما تريد إثباته ، أو نفى ما تريد نفيه ، فتتكلم بقلبك لا بلسانك .

ولا شىء يقضى على الشجاعة ويَخْضِدُ(١) شوكتَها أكثر من الهَلَع ؛ فحيثما وُجد وُجد الألم ، والقلقُ النفسى ، وتعبُ الضمير ، واضطرابُ العقل ؛ فتضطرب شخصية الإنسان . وإذا كان الخوف ثمنًا تدفعه فى فى سبيل المحافظة على الحياة فالإفراط فيه عيبٌ من العيوب الإنسانية التى يجب تهذيبُها ، والتى تقضى بأن يفكر الإنسان فى الشىء وفى نتائجه .

ويُضاف إلى المخاوف التى تلحقُ الشخصَ فى حاضره وتحيط به من وقت لآخر، مخاوفُ وهمية يتوهمها ، ويتخيلُ حدوثها فى المستقبل ، فيقلقُ بالُه ، ويضطربُ فكرُه وتضعفُ شخصيته . وكثيراً ما تكُونُ هذه الأوهامُ المخيفةُ مبنيةً على غير أساس ، ويندرُ أن تقعَ . وكم اغتممنا لتوقع مصائبَ لم تحدثْ ، ولن تحدثَ . وتكثر هذه المخاوف عادةً لدَى ذوى الشخصياتِ الضعيفةِ ؛ أما ذوو الشخصيات القوية ، فلا يكثرون الهموم ، من غير ما سبب ، ولأقل سبب ، بل يستقبلون الحياةَ كما هىَ ، ويواجهونها بما فيها من مسراتٍ وأحزان ، وسعادة وشقاء ، يبتسمون بهدوء حتى فى

(١) يقال خضد الشجر : أى قطع شوكه ، وبابه ضرب .

مواطِن البكاء ، ويصبرون فى مواقف البأساء ، وهؤلاء جديرون بالنجاح فى الحياة ؛ لشدة ثقتِهم بالله .

والحياةُ مملوءة بالحوادث والمصائب ، ولا يقدر الإنسان أن يعرفَ ما ينتظره فى الغد من المقادير . وبالصبر على الشدائد تُختَبرُ رجولَتُنا ، ويُعرَفُ مَعدِنُ الرجولةِ فينا . وبالروح التى تقابل بها هذه الحوادث تظهر شخصيتُنا أو تستتر . ولا يظهر الرجالُ إلا عند الشدائد والمصاعب.

ومن حيث إن النجاحَ فى الحياة ليس من السهل ، فيجب أن يتعلمَ الإنسان كيف يبتسم فى الأيام المظلمة ، كما يبتسمُ عند المسرات فى أيام السعادة والهناءة . وينبغى أن يتعودَ الشجاعةَ والاحتفاظَ بقواه عند الملِمَّات ؛ حتى يكتسب إعجابَ رفقائه واحترامَهم ، ويثبُتَ ثُبوتَ الطَّودِ فى مَهَبِّ الرياح .

وليس من الشجاعة أن تُكْثِرَ شكوى الحياةِ والظروفِ والأيامِ ؛ فشكوى سوء الحال لن تغيرَ ما حدث ، بل تَذهَب بنضرة العقل وقوة القلب . وإن الخوفَ من الخذلان والهزيمة يؤدى إلى الهزيمة . وقوةُ الأمل فى النجاح مع التشجيع والمثابرة تحفظُ روح الإنسان وهمته ، وتبعث فيه كثيراً من الرجاء فى الفوز ، وبخاصة إذا عمل بعقله وقلبه ويده . وإن الاعترافَ بالنقص فضيلة ، والعملَ على علاجه شجاعة .

فنحن فى حاجة إلى الشَّجاعة التى بها نستطيعُ مواجهةَ المخاوفِ ، ومقاومتَها بكل ثبات وصبر وتفكير حتى نتغلبَ على مصاعبِ الحياة ،

ونقلِّلَ من الخوف الذى يهدمُ الرجولةَ من أساسِها ، ويقتلُ الشخصيةَ فى مَهدها .

وإن أعظمَ انتصار فى الحياة هو الانتصارُ على النفس بضبطها ، وكَبْحِ جِمَاحِهَا ، والتغلبِ عليها . وليست الشجاعةُ فى أن تنتصرَ على سبع مفترس فَحَسْبُ ، ولكن الشجاعةَ فى أن تسيطرَ على نفسك التى بين جنبيك . وأرقى مظاهر الشجاعة الصبرُ والتحملُ عند المقـدرة . قيل : « مرَّ المسيحُ بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود ، فقالوا له شرًّا ، فقال خيراً . فقيل له : إنهم يقولون شرًّا وتقول لهم خيراً ! فقال : كل واحد ينفق مما عنده » .

وذُكِرَ عن المأمون أنه قال ليحيي بن أكثمَ يومًا : سِرْ بنا نتفرّج ، فسارا . فبينما هما فى الطريق وإذا مَقْصبَة[1] خرج منهـا رجلٌ بقصبة للمأمون يتظلمُ له . فنفرَت دابتهُ منه ، فألقتْهُ على الأرض صريعًا . فأمرَ بضرب ذلك الرجل . فقال الرجل : يا أميرَ المؤمنين ، إن المضطرّ يركبُ الصعبَ من الأمور وهو عالمٌ بركوبه ، ويتجاوزُ الأدبَ وهو كاره لتجاوزِه . ولو أحسنَت الأيامُ مطالبتى لأحسنْتُ مطالبتَكَ ، ولأنتَ على رَدّ ما لم تفعلْ أقدرُ مِنى على ردّ ما قد فعلتُ .

فبكى المأمون وقال : باللهِ أعِدْ علىّ ما قلتَ . فأعاده ، فالتفت المأمونُ إلى يحيى بن أكثمَ وقال : أما تنظر إلى مخاطبة هذا الرجل بأصغرَيْهِ ،

---

(١) أرض زرعت قصباً .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « المرء بأصغريه : قلبه ولسانه » . والله لا وقفتُ لك إلا وأنا قائم على قدمى . فوقفَ ، وأمرَ له بصلةٍ جزيلة ، وآعتذرَ إليه .

وحُكى أن جاريةً جاءت لأبى عبد الله بنِ جعفرٍ بقصعةٍ من ثريد تقدِّمها إليه وعنده قوم . فأسرعَت بها ، فسقطَتْ من يدها ، فانكسرت ، فأصابه وأصحابَهُ مما كان فيها . فارتاعت الجاريةُ عند ذلك . فقال لها : أنتِ حرة لوجه الله تعالى ، لعلّه أن يكون كفّارةً للرّوعِ الذى أصابكِ .

وقيل للأحنف بن قيسٍ : ممّنْ تعلمتَ الحلم ؟ قال من قيس بن عاصم المِنقرِى ؛ رأيته قاعداً بِفناء دارِه محتبيًا بحمائلِ سيفهِ يُحدث قومه ، حتى أُتِىَ برجل مكتوف ، ورجلٍ مقتول ، فقيل له : هذا آبنُ أخيك قتلَ آبنَك . فوالله ما حلّ حُبْوَته ، ولا قطعَ كلامه . ثم آلتفت إلى آبنِ أخيه وقال له : يا آبنَ أخى أثِمْتَ بربِّك ، ورميْت نفسك بسهمك . وقتلتَ آبنَ عمكَ . ثم قال لابن له آخر : قمْ يا بنىّ فوَارِ أخاك ، وحُلّ كِتافَ[1] آبنِ عمك ، وسُقْ إلى أمه مائةَ ناقةٍ ديةَ آبنِها ؛ فإنها غريبة[2] .

وقيل لقيس بن عاصم ما الحلمُ ؟ قال : أن تصلَ من قطعكَ ، وتعطىَ من حرَمك ، وتعفوَ عمنْ ظلمكَ . وقال لقمان الحكيمُ : ثلاثة لا تعرفهم

---

(١) الكتاف : الحبل الذى تشد به اليد إلى الخلف .

(٢) انتهى من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ج ٦ ص ٥١ ، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ .

إلا عند ثلاثة : لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاعُ إلا عند الحرب، ولا تَعرف أخاك إلا إذا آحتجت إليه. وقال موْرّق العِجلى : ما تكلمت فى الغضب بكلمة ندمتُ عليها فى الرضا . وقال حكيم : لا يظهر الحلمُ إلا مع الانتصارِ، كما لا يظهرُ العفو إلا مع الاقتدارِ .

وقال أحد الفلاسفة : الحريةُ الحقة أن يضبطَ المرء نفسه . وقال آخر : إن جُلّ فضائلِ الإِنسان تظهر فى الصبر وضبط النفس والحلم . وقال سقراط : من كثر آحتماله ، وظهر حلمهُ ، قل ظلمهُ ، وكثرَت أعوانه . وقال آبن المعتزّ : عقوبة الغضب تبدأ بالغضبان؛ تقبح صورته ، وتثلم دينه ، وتعجّل ندمَه .

والحلم دفع السيئةِ بالحسنة ، وهو دِعامة العقلِ ، وعِقالُ الشرّ؛ قال الله تعالى : « ولا تستوِى الحسنةُ ولا السيئةُ آدْفع بالتى هىَ أحسنُ؛ فإِذا الذى بيْنكَ و بينهُ عداوةٌ كأنه ولىٌّ حميمٌ . وما يُلقّاها إلاّ الذين صَبَرُوا وما يُلقّاهَا إلاّ ذو حَظٍّ عظيم » ، وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليــه وسلم أنه قال لأشجّ عبد القيس : « يا أبا المُنْذِر، إن فيكَ خصلتين[١] يرضاهما الله ورسوله : « الحلم والأناة » . وقيل : الحلم والأناة توءمان يُنْتِجهما علو الهمــةِ . ومن كلام النبوة : « كادَ الحليمُ أن يكون نبياً » .

وقيل : الحلم بالتحلُّم كما أن العلم بالتعلم . ويدل على ذلك ما حكى

---

(١) فى الإِحياء للغزالى «خلقين يحبهما . .» ج ٣ ص ١٢٣ طبع بالمطبعة الميمنية .

عن جعفر الصادق أنه كان عنده رجل سيء الخُلق ، فقيل له : أما تأنفُ من مثل هذا عندك وأنت قادرٌ على الاستبدال به ؟ فقال : إنما أتركه لأتعلمَ عليه الحلم . قال الشاعر .

وليس يتمُّ الحلمُ للمرء راضياً * إذا هو عند السُّخط لم يتحلَّمِ
كما لا يتمُّ الجود للمرء موسراً * إذا هو عند القتْرِ لم يتحشَّمِ (١)

ورُوى عن سَرِىّ السَّقَطىّ أنه قال : الحلم على خمسة أوجه : حلمٌ غرزى ؛ وهو هِبة من الله للعبد ، يعفو عمن ظلمه ، ويصلُ من قطعه ، ويعطى مَن حَرَمه ، ويحسنُ لمن أساء إليه ؛ وحِلمُ تحالُمٍ ؛ يكظمُ غيظه رجاء الثوابِ وفى القلب كراهية ؛ وحلم كبرٍ لا يَرَى المسيء أهلا أن يجازيه ؛ وحلم مذموم ؛ رياء وسُمعة وهو حاقد ساكت يرائى به جلساءهُ ؛ وحلمُ مَهَانةٍ وذلة وعجزٍ وضعف نفس وصِغرِ همة .

وقال أبو هلالٍ العسكريّ : ومنْ أشرفِ نُعوتِ الإنسان أن يُدْعى حليما ؛ لأنه لا يُدعَاه حتى يكونَ عاقلا وعالمًا ومصطبراً ومحتسباً وعفُوًّا وصافحًا ومحتملاً وكاظما . وهذه شرائفُ الأخلاقِ ، وكرائم السجايا والخصال .

وقال معاوية لابنه يزيد :

« عليكَ بالحلم والاحتمال حتى تمكنكَ الفرصةُ ، فإذا أمكنتكَ فعليكَ بالصفح ؛ فإنه يدفعُ عنك معضلاتِ الأمور ، ويكفيكَ مصارع المحذور .

---

(١) يتحشم : يتذمم ويستحي .

حُكِيَ أنه لما أفضَتْ الخلافة إلى بني العباس [1] آختفَتْ منهم جميع رجال بنى أمية ، وكان منهم إبرهيمُ بنُ سليمانَ بن عبدِ الملكِ . وكان إبرهيمُ هذا رجلاً عالمًا كاملاً أديبًا ، وهو مع ذلك فى سِن الشَّبيبة ، فأخذوا له أمانًا من السَّفاح ، فأعطاه أبو العباسِ السفاحُ أمَانًا وأكرمه ، وقال له : اِلزمْ مجلِسى . فذاتَ يوم قال له أبو العباس السفاحُ : يا إبرهيمُ حدِّثنى عما مرَّ بك فى آستخفائك من العدو . فقال سمعًا وطاعة يا أمير المؤمنين .

« كنتُ مختفيًا فى الحِيَرةِ [2] بمنزل فى شارع على الصحراء ، فبينما كنتُ يومًا على ظهر ذلك البيت ، إذ بَصُرت بأعلام سُودٍ قد خرجَت من الكوفة تريد الحِيَرة — فتخيلتُ أنها تريدنى . فخرجت مسرعًا من الدار متنكِّرًا ، حتى أتيت الكوفة وأنا لا أعرف أحـدًا أختفى عنده . فبقيت فى حَيْرةٍ . فنظرتُ وإذا أنا بباب كبيرٍ واسِـع الرَّحَبة [3] ، فدخلت فيه . فرأيت رجلاً وسيمًا حسنَ الهيئةِ ، مُقبلاً على الرَّحَبة ومعه أتباعُه ، فنزل عن فرسه وآلتفت ، فرآنى ، فقال لى : من أنت ؟ وما حاجتُك ؟ فقلت : رجل خائف على دمه ، وجاء يستجير فى منزلك . فأدخلنى منزله ، وصيَّرنى فى حجرة تلِي حرَمَه ، وكنت عنده فى كلِّ ما أحبه من طعام وشراب ولباس . وهو لا يسألنى عن شىء من حالى . إلا

(١) من مجانى الأدب ج ٣ ص ٢٠٩ (٢) مدينـة بالقرب من الكوفة
(٣) الساحة والفناء

أنه كان يركبُ فى كل يوم من الفجر ويَمْضِى ولا يرجعُ إلا قريبَ الظهر.

فقلت له يومًا : أراكَ تُدمِنُ الركوب كلَّ يوم ، ففيم ذلك ؟ فقال لى : « إن إبرهيمَ بنَ سليمان بنِ عبدِ الملك كان قد قتل أبِى ظلمًا ، وقد بلغنى أنه مُختفٍ بالحِيرَة ، فأنا أطلبه يومياً لعلِّى أجده وأدركُ منه ثأرى » .

فلما سمعتُ ذلك يا أميرَ المؤمنين كثُر تعجُّبِى وقلت فى نفسى : إن القدَرَ ساقنى إلى حتْفِى[1] فى منزلِ من يطلُبُ دمى . فواللهِ يا أمير المؤمنين إنِّى كرِهتُ الحياة . ثم إنى سألتُ الرجل عن آسمه وآسم أبيه ، فأخبرنى . فعلمت أن كلامَه حق ، وأنى أنا الذى قتَل أباه . فقلت له : يا هذا إنه قد وجب علىَّ حقُّك ، ولمعروفك لى يلزمنى أن أدلَّك على خصمك الذى قتلَ أباكَ ، وأقرِّبَ عليك الخُطوة . فقال : وما ذاك ؟ فقلت له : أنا إبرهيمُ بنُ عبد الملك ، وأنا قاتل أبيك ، فخذ بثأرك .

فتبسَّم منى وقال : هل أضجركَ الاختفاء والبعدُ عن منزلِك وأهلِك فأحببتَ الموت ؟ فقلت : لا واللهِ ، ولكنى أقولُ لك الحقَّ ، وإنى قتلتُه فى يوم كذَا ، من أجل كذا . فلما سمع الرجل كلامى هذا وعلِم صِدقى تغيّر لونه ، وآحمرَّت عيناه ، ثمَّ فكر طويلاً ، وآلتفت إلىّ وقال : أمّا أنتَ فسوف تلقَى أبِى عند حاكمٍ عادلٍ فيأخذُ بثأره منك ، وأمّا

(١) هلاكى

أنا فلا أخفر[1] ذمّتي ، ولكني أريد أن تخرج عنّي ؛ فإني لست آمَنُ عليك من نفسي . ثم إنه أعطاني ألف دينار : فأبيت أخذَها وانصرفت عنه . فهذا يا أميرَ المؤمنين أكرمُ رجلٍ رأيتُه وسمعتُ عنه في عمرِي بعد أمير المؤمنين .

وقيل : قُتِلَ للأحنف بن قيس ولدٌ ، وكان الذي قتله أخًا للأحنف ، فجيء به مكتوفًا لِيقيِّدَه ؛ فلما رآه الأحنف بكى ، وأنشد :

أقول للنفس تأساءً[2] وتعزية * إحدَى يدىّ أصابتْنى ولم ترِدِ
كلاهما خَلَفٌ من فقدِ صاحبِهِ * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

ويرى الفيلسوف الإنكليزىّ « هِربَرت سبِنْسَرْ[3] » أن ضبطَ النفس أساسُ الكمالِ الإنسانى ، وأنَّهُ الغرض من التربية .

وقد ذكرَ المؤرخون أن « جورج واشِنْطون »[4] محرر أمريكا كان مثلاً فى القدرة على كتمانِ الشعورِ ؛ إذ لم يغضبْ فى حياته إلا مرة واحدة .

ثانيًا : هناك مظهر للشجاعة يتبينُ **فى التغلب على الصعاب** التى تعترضُ الإنسانَ فى الحياة ، وإصلاحِ الأخطاء التى تمُر بنا ، سواء أكانت هذه هذه الأخطاء منسوبةً إلينـــا أم منسوبةً إلى غيرنا . وهناك كثير من

---

(١) أنقض عهدى وأغدرك (٢) تعزية وسلوى (٣) كان من كبار المربين من الإنكليز (١٨٢٠ — ١٩٠٣ م) (٤) ولد فى ٢٢ من فبراير سنة ١٧٢٢ م . وتوفى فى ١٤ من ديسمبر سنة ١٧٩٩ .

المصاعب التى يمكنُ التخلصُ منها بقليل من الشجاعة والحزم والثبات . وكثيراً ما يكون الجُبْنُ سَبباً فى الفشل ، وعدمِ النجاحِ فى العمل . وكما تكونُ الشجاعة فى الإقدام على الشىء تكون فى الإحجام عنه عند تحقُّق التهلكة . ولا تقل الشجاعة فى الإحجام والتريث حينئذ عن الشجاعة فى الإقدام .

وممن كانوا مثلاً للشجاعة واقتحام المخاطرِ بين العرب سيدُنا عمرُ ابنُ الخطاب (رضى الله عنه) ؛ فقد ترَبَّى على الشهامة والنَّجْدة والجُرأة ، وقول الحق لا يرى فيه هَوَاة : فعند الهجرة إلى المدينة كان الناس يخرجون يتسلَّلون ؛ خِيفَةَ أن يحجزَهم أهلوهم . أما هو فأعلنَ أنه مهاجر ، وقال : من أراد أن تثكَله أمه فليلْقنى وراء هــذا الوادى ! ثم خرج مهاجراً فلم يتبَعْه أحد .

وكذلك خالد بنُ الوليد ؛ ومن أقواله : لقد لَقِيتُ كذا وكذا زحفًا ، وما فى جسدى موضعُ شبر إلا وفيه طعنة أو رمية ، ثم هأنذا أموت على فراشى حتْف أنفى . فلا نامت أعين الجبناء .

قال جرير :

قل للجبانِ إذا تأخرَ سرجه ✲ هل أنتَ من شَرَاكِ المنِيَّة ناجِ

وتقول العرب : الشجاعةُ وقاية ، والجبن مَقْتَلَة . وقال أبو بكر (رضى الله عنه) لخالد بن الوليد : احرِصْ على الموت تُوهبْ لك الحياة .

ومن آشتهر بالإقدام من الأوربيين (نابليون بونابرت) إمبراطور فرنسا ؛ فقد كان قائداً فريداً ، وسياسيًّا محنكا ، وكان فى حرب مع معظم الممالك المحيطة بفرنسا . لم يَرْضَ (نابليون) لنفسه أن يخضَعَ حتى للعوارض الطبعية التى لاقِبَلَ للإنسان بمقاومتها ومغالبتها ؛ فقد قيل له لما أراد أن يكتسحَ إيطاليا بجيشه الجرار : « إن جبالَ الألب الشاهقة تَعوقُكَ عن المسير، وتَحُولُ دون أمَانيك » . فأرسَلَ فِئة من الكشافة لرؤية طرق فى الجبال . فلما عادوا سألهم قائلاً : هل يمكن آجتيازها ؟ فهزوا رءوسهم ، فأجاب أحدهم : يمكن ولكن . . . فقـال نابليون : لا أريد أن أسمع أكثر من ذلك . إلى الأمام ؟ إلى إيطاليا ! يجب أن تُمْحَى هذه الجبالُ من الأرض . فضحك الناس وآستغربوا كيف يَعبُر جيش مؤلف من ستين ألفَ نفس جبالاً لا طريقَ فيها . ولكن نابليون آنتظر حتى رتبوا كل شىء ، فضربت الأبواق ، وأمرهم بالمسير . وحينئذ تحرك الجيش ، وبذل كل غاية جهده ، وسرعان ما صعِدوا بأمان فوق هذه الجبال الشامخة . وبعد أربعة أيام كانوا فى سهول إيطاليا . فقال نابليون : إن الرجلَ الذى صممَّ على النجاحِ لا يعتقد أن فى الدنيا محالاً ؛ ولا غرابة ؛ فكل غاية قريبة فى نظر المقدام ، وبعيدة فى نظر المحْجِمِ ، كما قال المسترلويد جورج .

ثالثاً : تظهر الشجاعة فى الإجابة وفى إبداء الرأى :

من الشجاعة أن يُجيبَ الإنسان بكل أمانة وإخلاص عما يُسأل ، وأن يُبدىَ رأيه بكل صراحة ، ويدافع عنه من غير تغيير للحقائق ، ومن غير آضطرار إلى الإنكار ، أو ذكْر نصف الحقيقة خوفاً من أن يَظهرَ بنفسه الحقيقية كما هى . وإذا آعترفنا بكل إخلاص بأننا فعلنا كذا ، ولم نسمعْ راوية كذا ، أو لم نقرأ كتاب كذا ، أو أننا لا نحبُّ فلاناً ، فقد يعجب المستمع العادى ، ولكننا لو ذكرنا السببَ بطلَ العجبُ . وهذا أفضلُ من تشويه الحقائق بالتغيير والزخرفة ، وتضليل الناس . وهناك أسئلة شخصية تدل على تطفل السائل ، وتدخله فى شئون غيره ، فَمِثْلُ هذه الأسئلة يجب أن تُحارَبَ برفض الإجابة عنها بكل أدب ؛ عقاباً لذلك المتطفِّل .

وتبْدو الشجاعة فى ضرار الصدائى ؛ إذ قال له معاوية (رضى الله عنه) : يا ضِرارُ صِفْ لى علياً . فقال : أعْفِنى يا أمير المؤمنين . قال : لَتَصِفَنَّه . فقال : أما إذ أذِنْتَ فلا بد من صِفته . كانَ واللهِ بعيدَ المدى[١] ، شديدَ القُوَى ، يقول فصلاً[٢] ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمةُ من نواحيه ، يستوحش[٣] من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته . كان والله غزير الدمعة ، طويل

(١) الغاية ، بعيد النظر (٢) حقا (٣) يبتعد

الفكرة ، يقلب كفه[١] ويخاطب نفسه ، يُعْجِبه من اللباس ما قَصُر ، ومن الطعام ما خَشُن . وكان فينا كأحدنا ؛ يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا آستنبأناه . ونحن مع تقريبه إيانا ، وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته . يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين . لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييئس الضعيف من عدله . فبكى معاوية حتى أخضَلَت[٢] دموعه لحيته . وقال : رحم الله أبا الحسن ؛ فلقد كان كذلك . فكيف حُزنُكَ عليه يا ضِرار ؟ قال : حُزْنُ من ذُبح واحدها فى حِجرها ؟

وفى القصة التاريخية الآتية يبدو حلمُ معاويةَ ، وشجاعة الزرقاء . قيل : إنه لما ولِىَ معاويةُ الخلافة وآنتظمتْ إليه الأمورُ . وآمتلأت منه الصدورُ . وأذعنَ لأمرِهِ الجمهورُ . وساعده اللهُ فى مرادِهِ . آستحضَرَ ليلةً خواصَّ أصحابِهِ وذاكَرَهم وقائعَ أيامِ صِفِّينَ . ومن كان يتولَّى كِبْرَ الكريهةِ من المعروفين . فانهمكوا فى القول الصحيح والمريض . وآلَ حديثُهم إلى من كان يجتهد فى إيقاد نارِ الحربِ عليهم بزيادة التحريض . فقالوا : امرأةٌ من أهل الكوفةِ تُسَمَّى الزَّرقاء بنتَ عَدِيّ ، كانت تتعمد الوقوفَ بين الصفوفِ ، وترفعُ صوتَها صارخةً : يا أصحابَ علىٍّ . تُسمِعُهم كلامًا كالصَّوارمِ ؛ مُستَحِثَّةً لهم بقولٍ لو سمِعَه الجبانُ لقاتَلَ ، والمُدْبِرُ لأقبَلَ ، والمسالِمُ لحاربَ ، والفارُّ لكرَّ . والمتزلزلُ لاستقرَّ .

---

(١) يحاسب نفسه ويتحير (٢) بلت

فقال لهم معاويةُ : أيُّكم يحفظ كلامَها ؟ فقالوا : كلنا نحفظه . قال : فما تُشيرون عليَّ فيها ؟ قالوا : نُشير بقتلها ؛ فإنها أهلٌ لذلك . فقال لهم معاويةُ : بِئسَ ما أشَرتُم به ، وقُبحًا لما قلتم . أيحسنُ أن يَشتهِرَ عنى أننى بعد ما ظفِرتُ وقدَرت قتلتُ امرأةً قد وَفَت لصاحبِها ؟ إنى إذاً لَلَئيم . لا واللهِ لا فعلتُ ذلك أبداً .

ثم دعا بكاتبه فكتب كتابًا إلى واليهِ بالكوفة أن : أَنْفِذ إلىَّ الزرقاء بنتَ عَدِىٍّ مع نفرٍ من عشيرتِها وفُرْسانٍ من قومها . ومَهِّدْ لها وطاءً ليِّنًا ، ومركبًا ذَلُولاً .

فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وقرأه عليها . فقالت بعد قراءة الكتاب : ما أنَا بزائغةٍ عن الطاعة . فحملها فى هَوْدَجٍ ، وجعل غِشَاءه خَزًّا مُبَطَّنًا . ثم أحسنَ صُحبتَها .

فلما قدِمَت على معاويةَ قال لها : مرحبًا وأهلاً خيرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وافدٌ . كيف حالُكِ يا خالةُ ؟ وكيف رأيتِ سَيْرَكِ ؟

قالت : خيرَ مَسيرٍ .

فقال : هَلْ تعلمين لِمَ بعثتُ إليكِ ؟

قالت : لا يعلمُ الغيبَ إلا اللهُ سبحانه وتعالى . قال : ألستِ راكبةَ الجملِ الأحمرِ يومَ صِفِّينَ ، وأنتِ بين الصفوف تُوقِدين نارَ الحرب ، وتحرِّضين على القتال ؟

قالت : نعم . قال : فما حَمَلكِ على ذلك ؟

قالت : يا أميرَ المؤمنين، إنه قد مات الرأسُ وبُتِرَ[1] الذَّنبُ، والدهرُ ذو غِيَرٍ[2]، ومن تفكَّر أبصَر . والأمرُ يحدُث بعدَه الأمرُ .

فقال : صَدقتِ ، فهل تعرفين كلامكِ ، وتحفظين ما قلتِ ؟

قالت : لا والله . قال : لِلهِ أبوكِ ، فلقد سَمِعْتُكِ تقولين :

« أيها الناسُ ، إن المصباحَ لا يُضيء في الشمس ، وإن الكواكبَ لا تضيء مع القمر . وإن البغلَ لا يسبِقُ الفرس . ولا يُقطعُ الحديدُ إلا بالحديدِ . ألاَ من استرشدَنا أرشدناه . ومن سألَنا أخبرناه . إنَّ الحقَّ كان يَطلبُ ضالَّةً فأصابَهـا . فصبراً يا معشرَ المهاجرين والأنصارِ . فكأنكم وقد التأمَ شملُ الشَّتاتِ ، وظهرتْ كلمةُ العدلِ وغلبَ الحقُّ باطلَه ، فإنه لا يَستوِي المُحِقُّ والمُبْطِلُ . أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقًا . لا يَسْتوُون . فالنِّزالَ النِّزالَ ، والصبرَ الصبرَ. ألاَ وإن خِضابَ النساء الحِنَّاء ، وخِضابَ الرجالِ الدِّماء . والصبرُ خيرُ الأمور عاقبةً . ائتُوا الحربَ غيرَ ناكِصِينَ[3] ، فهذا يومٌ له ما بعدَه » .

يا زرقاء أليس هـذا قولكِ وتحريضكِ ؟ قالت : لقد كان ذلك . قال : لقد شاركْتِ عليًّا في كل دمٍ سفكَه . فقالت : أحسن الله بشارتَك يا أميرَ المؤمنين ، وأدامَ سلامتَك مِثْلُكَ . من يُبَشِّرُ بخيرٍ ، ويَسُرُّ جليسَهُ .

---

(١) قطع (٢) لغيرات ونوائب (٣) راجعين ومحجمين

قال معاوية : أَوَقَدْ سَرَّكِ ذلك ؟ قالت : نعم ، والله لقد سرَّنى قولُكَ ، وأَنَّى لى بتصديقِهِ ؟ فقال لها معاوية : واللهِ لوفاؤكم له بعد موتِهِ أعجبُ إلىَّ من حُبِّكم له فى حياته . فاذكرى حوائجكِ تُقْضَ . فقالت : يا أميرَ المؤمنين إنِّى آليتُ على نفسى ألاَّ أسأل أحداً بعد علىٍّ حاجة » .

فقال : قد أشارَ علىَّ بعضُ من عرفكِ بقتالكِ .

فقالت : لؤمٌ مِن المُشِيرِ . ولو أطعتَه لشاركتَه .

قال كلا ، بل نعفو عنكِ ، ونُحْسِن إليكِ ونرعاكِ .

فقالت : يا أميرَ المؤمنينَ ، كَرَمٌ منك . ومِثْلُكَ من قدَرَ فعَفا ، وتجاوزَ عمن أساءه ، وأعطَى من غيرِ مَسألةٍ . فأعطاها كُسوةً ودراهمَ ، وأقطعها ضَيعةً تُغِلُّ لها فى كل سنة عشرةَ آلافِ درهمٍ . وأعادها إلى وطنها سالمةً ، وكتب إلى والِى الكوفة بالوصيةِ بها و بعشيرتها .

وقد خطب الحجاج يومًا فأطالَ . فقال رجل من الحاضرين : « الصلاة » ؛ فإن الوقتَ لا ينتظرك ، والربَّ لا يعذرك . فأمر بحبسه . فأتاه قومه وزعموا أنه مجنون . فقال الحجاج : إن أقرَّ بالجنون خلَّصْتُه . فقال الرجل : لا يسوغ لى أن أجحدَ نعمةَ الله التى أنعم بها علىَّ ، وأثبتَ لنفسى صفة الجنون التى نزهنى الله عنها . فلما رأى صِدْقه خلَّى سبيله .

الفصل السادس

٥ — الحكمة

إن شخصية الإنسان لا تكون متينة إلا إذا زانتْها الحكمة والعلم والحزمُ ، ووضعُ الأشياء فى مواضعها ، وقدْرُها حقّ قدرِها . والرجل الحكيمُ هو السديدُ الرأى ، البعيدُ النظرِ ، الحسَنُ التقديرِ ، الذى يعرف الحق فيتمسك به ، ويفعل ما يجب أن يُفعلَ ، ويترك ما ينبغى أن يُترَك ، ويقول ما يجب أن يُقالَ . يرى الفرصة فينتهزها ، ويشعر بالطريق المستقيم فيسلكه ، يحس نتيجة الشىء حتى قبل حدوثها ، ويعامل غيره بما يحب أن يعاملَ به ، ويحكم على غيره بما يود أن يُحكَمَ به عليه ، يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وإذا حكَمَ على غيره كان حكمه بعيداً عن الأهواء والأغراض ، تمثل فيه النزاهة والعدالة . كل هذه الصفات نتيجة الحكمة وحسن التقدير . قال جل شأنه : « وَمَنْ يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خيراً كثيراً » وقال صلى الله عليه وسلم : « الحكمة ضالّة المؤمن » .

والحكمة صفة أساسية فى تكوين الشخصية السامية تحمِلُ الإنسان على العمل وَفْق العقل . وهى خلاصة الأخلاق ، وأساس كل فضيلة ؛ بها يتدبر الإنسان عواقب الأمور ، ويميز بين الخير والشر ، والحق

والباطل . قال ابن مسكويه الفيلسوف الإسلامى فى كتابه « تهذيب الأخلاق » : « الحكمة : وسط بين السفه والبله » . ويعنى بالسفه هنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغى وكما لا ينبغى . ويعني بالبله تعطيل هذه القوة الفكرية وإهمالها قصداً . أما إذا انتفت الحكمة فإن الإنسان يكون واهِنَ الرأى ، مضطربَ البصيرة ، سئ الحظ ، عاثر الجدِّ ، ضعيف الشخصيةِ ، يعجز عن تقدير الأشياء ، ويفعل ما يجب أن يُترك ، ويهمل أموراً تجب العناية بها ، ويهتم بأشياء لا قيمة لها ، يحب ما ينبغى أن يُكرَه ، ويَكرَهُ ما ينبغى أن يُحَبَّ ، فيصبح ضحية لوجدانه وأقواله وأفعاله . ويصير مكروهاً لدى من يعرفونه .

قيل لرجل من بنى عبس ما أكثر صوابكم . قال : نحن ألف رجل وفينا حازم ، ونحن نطيعه ، فكأننا ألف حازم .

ومن الحكمة أن تجتهد فى إرضاء الناس — وإن كان إرضاؤهم جميعاً غاية لا تدرَك — من غير أن تضحِّىَ بمبدأ من مبادئك ، أو مظهر من مظاهر رجولتك ؛ حتى تمتلك قلوبهم . وهـذا دليل على وجود الشخصية القوية الجذابة . ومنها أن تكون ذا أناةٍ عند القدرة ، وذا حلمٍ عند الغضب ، وذا سطوةٍ عند المغالبة .

وكثيراً ما تفسد الحكمة . وتُشوَّهُ بالفخر ، أو التكبر ، أو الحقد ، أو الغيرة ، أو الغش . فينبغى أن يهذِّب الإنسان نفسه ، ويترك الفخرَ

جانبًا ولا يتكبر ، ولا يحقد على غيره ، ولا يغش أحداً أو يُضله ؛ حتى تكون علاقته بغيره حسنة ، وتكون شخصيته محبوبة لدى من يتصلون به أو يعرفونه .

وليس من الحكمة الغضبُ فى غير غضب ، والكلامُ فى غير نفع ، والعطية فى غير موضع ، والثقة بكل أحد ، وعدم معرفة الصديق من العدو . وفى كليلة ودمنة : « ليس من الحكمة أن تصدِّق ما ينبغى أن يُكذَّب ، وتكذِّبَ ما ينبغى أن يُصدَّق ، وتلتمس تقويم من لا يستقيم ، وتعالج تأديب من لا يتأدب ، وتتدخل فيما لا يعنيك ، وتعمل غير عملك ، فإن الذين يعملون غير أعمالهم ليسوا على شىء ؛ كالذى يضع الرماد موضعًا ينبغى أن يضع فيه الرمل ، والرجل الذى يلبس لباس المرأة ، والمرأة التى تلبس لباس الرجل ، والضيف الذى يقول : أنا رب البيت ، والذى ينطق بين الجماعة بما لا يُسأل عنه » .

قيل لعنترة العبسى : أأنت أشجع العرب وأشدهم بطشًا ؟ فقال : لا ، فقيل له : كيف شاع لك هذا الاسم بين الناس ؟ فقال إننى أقدم إذا رأيت الإقدام عزمًا ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزمًا ، ولا أدخل مدخلاً إلا إذا رأيت لى منه مخرجًا ، وأعمد إلى الضعيف الساقط فأضربه ضربة يطير بها قلبُ الشجاعِ ، فأثنى عليه فآخذه ، والحرب خَدعة [1] .

(١) يقال خدعه : ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم . والحرب خدعة وخدعة بالضم ، والفتح أفصح .

وقد ذكرَ أعرابي قوماً فقال : أدَّبتهم الحكمةُ ، وأحكمَتهم التجاربُ ، ولم تَغرُرْهم السلامةُ المنطويةُ على الهَلَكةِ ، فأحسنوا المقال ، وشفعوه بالفعَال[1] .

قيل لعربيّ : مَن أحزمُ الناسِ ؟ فقال : من أخذَ[2] رقابَ الأمور بيديه ، وجعلَ العواقبَ نُصْبَ عينيه ، ونبَذَ التّهيُّبَ[3] دبْرَ[4] أذنيه . وقيل له : ومن أخرقُ الناس ؟ فقال : من ركبَ الخِطارَ[5] ، وآعْتَسَفَ[6] العِثارَ ، وأسرعَ فى البِدَارِ قَبْلَ الاقتدارِ .

والحكيمُ الحِلمُ طبيعتُه ، والرأيُ الحسَنُ سَجِيَّتُه ، إن سُئِل أجاب ، وإن نطَقَ أصاب ، وإن سَمِع العلمَ وعَى . وأما الأحمقُ فإن تكلم عَجِل ، وإن حدَّث أخطأ ، وإن آستُنزِلَ عن رأيه نزَلَ .

وتتطلب الحكمةُ قبل الشروع فى الفعل

(١) التروّى فى الأمور؛ لأن العَجَلةَ كثيراً ما تؤدى إلى الخطأ . وإذا قلنا بالتروّى فإننا لا نقولُ بالإغراقِ فيهِ ؛ لأنه يَحُولُ دونَ النجاحِ فى كثير من الأعمال ، ويفوّت الفرصةَ .

(٢) وفرة العلمِ والتجربةِ فإنها سبيل الحكمةِ .

(٣) توافر الفطنة ؛ إذ لا سبيلَ لصحة الفكر بغيرها .

---

(١) انتهى من الأمالى لأبى على القالى ص ٢٣ ج ٢ . (٢) الأمالى ج ٢ ص ٢٨١ طبعة بولاق سنة ١٣٢٤ هـ (٣) التخوف (٤) خلف

(٥) الأمور التى لا تؤمن عاقبتها (٦) اعتسف : ركب الطريق على غير هداية ، والعثار : ما يوقع فى السقوط .

(٤) توافر الثباتِ وكبح النفسِ .

ومما يحول دونه الحكمة :

(١) العجلةُ فى الفعل . (٤) سُقْمُ الفكرِ أو خطؤه .

(٢) الإغراقُ فى التروّى . (٥) التشبث والجمودُ .

(٣) قلةُ التجربةِ والعرفانِ .

وتتضمن الحكمةُ حسن التدبير ، وجودةَ الذهنِ ، وثقابةَ الرأى ، وصوابَ الظنّ . قال معاويةُ بنُ أبى سفيانَ[1] : « إنى لا أضعُ سيفى حيث يكفينى سَوطى ، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ، ولو أن بينى وبين العامّة شعرةً ما انقطعَتْ أبداً ؛ قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا جذَبوها أرخيتُها ، وإذا أرْخوْها جذبتها » .

وفى هذا القول تمثل الحكمةُ والحلمُ . وقد سألَ الإسكندرُ الأكبرُ يومًا جماعةً من حكمائه ، وكانَ قد عزَمَ على سَفَر فقال : أوضِحُوا لى سبيلاً من الحكمة أُحْكِمُ فيه أعمالى ، وأُتقِن به أشغالِى .

فقال كبيرُ الحكماء :

أيها الملكُ : أعمِلِ الفكْرَ واتّخِذْه وزيراً ، واجعلِ العقلَ صاحبًا ومُشيراً ، واجتهدْ أن تكونَ فى ليلك متيقّظًا ، ولا تَشرعْ فى أمرٍ بغيرِ مَشُورَةٍ ، وتجنّبِ الميلَ والمحاباةَ فى وقت العدل والإنصافِ ؛ فإذا فعلتَ ذلك جرَتِ الأمورُ على إيثارِك ، وتصرّفتْ باختيارك .

---

(١) انتهى من نهاية الأرب جـ ٦ ، ص ٤٤ طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦م

الفصل السابع

٦ — التفــــاؤل

من العناصر التي لا تقلُّ أهمية في تكوين الشخصيةِ الممدوحة : التفاؤلُ والتيمنُ والنظرُ إلى الأشياء بمنظار الفأل الحسنِ ، ويُمنِ الطالع ، لا بمنظار التشاؤم والتّطيّر[1] ؛ ذلك المنظار الأسود ، منظار الشؤم والطِّيَرَة ؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، يحب الفألَ ، ويكرهُ الطِّيَرَة . وفي الحديث: « ليس منا من تطيّر » . قيل :

لما قدم رسول الله المدينة نزل على رجل من الأنصار ، فصاح الرجل بغلاميه : يا سالم ويا يسار ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « سلمت لنا الدار في يسر » . وفي هذا تمثّل روح التفاؤل لدى الرسول الكامل .

ولا نقصد بالتفاؤل أن نغمِّض أعيننَا عن الحقائقِ ، ونتائج الأمور ، بل نقصد أن نعتادَ في تفكيرنا النظرَ إلى الأشياء بعينِ الأمل والرحمة ، لا بعين اليأسِ والقنوط ، وننظر إليها في نور الأمل ، لا في ظلام اليأس ، من الناحية المضيئة من الطريق ، لا من الناحية المظلمة الحالكة .

---

(١) يقال تطير من الشيء وبالشيء ، والاسم الطيرة وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء .

والمتفائلُ يَرضَى بالماضى خيره وشره ، ويثق بالمستقبل ثم يؤدى الواجبَ ويترك النتيجة لله سبحانه وتعالى . وتعتبر هذه العادةُ العقليةُ — وهى عادةُ التفاؤل — من الأمور الجوهرية فى تقوية الشخصية . وكثيراً ما ينشأ التفاؤلُ من نشاط الشخص ، وقوتهِ العقليةِ والعصبيةِ ، وعن نوع الأفكار التى يَسمحُ لها بالدخول إلى العقل . وإذا تعود الإنسانُ أن يزودَ نفسَه بالأفكار الصحيحةِ السارّة فإنه لا يتجنبُ التشاؤمَ والحزنَ فحسْبُ ، بل قد يُطلّ من نوافذ العقل على الناحية السارّة المضيئةِ من الحياة .

وينشأ التشاؤمُ عن ضعفِ النشاطِ وضعفِ القوةِ العصبيةِ ، ووهن الرقابةِ العقليةِ (Mental Control) فى الإنسان ؛ فيسمحُ لنفسه بأن تسبحَ فى جوّ مظلم من الأوهام ، حتى يُصبحَ عقلُه متلبداً بغيوم لا حقيقة لها ، ودخان لا أصلَ له ؛ هى غيوم التطيرِ ، ودخانُ التشاؤمِ .

وإن ضبطَ النفسِ والنظرَ إلى الناحية السعيدة دائماً ، مما يُزيلُ عن أولئك المتشائمين ، وهؤلاء المتطيّرينَ هذه الهمومَ والأحزانَ التى تسيطرُ على نفوسهم .

وإذا كان التفاؤل موقظاً للعقل ، ومَدعاة للنشاط ، وباعثاً على الإقدام ، ومحرِّراً للإنسان ، ومنشِّطاً لجميع قواه العقلية ، فالتشاؤم

سبب فى الخمول والكسل ، وكثرة التردد والفشل ، والشقاء والضعف ، لا فى التفكير فحسب ، بل فى الشخصية كذلك .

فالشخصية الحية القوية ، ينبغى أن تتمسك بالتفاؤل ، وتلتزم الناحية السارة ، يقودُها الأمل ، ويحييها الرجاء ، تفكر فى النجاح أكثر من الخيبة ، وفى التقدم أكثر من التأخرِ . وتميل إلى جانب الثقة أكثر من الميل إلى جانب التردد ، وتثق بما تقول وما تفعل ، ولديها كل علاج ، وهى منبع النشاط والقوة .

ومن الحكمة أن ترجح جانبَ الخير على جانب الشر ، واللين على الشدة ، والتعقل على الطيش ، والأمل على اليأس ، والنور على الظلام .

قال صلى الله عليه وسلم : « إذا رأى أحدُكم الطيرَ ، فقال : اللهم لا طيرَ إلا طيْرُك ، ولا خيرَ إلا خيرك ، ولا إلهَ غيرُك لم تضره » .

وكان الرسول الكريم يتفاءلُ ولا يتطيّر ، ويحب الاسم الحسن . وقال[1] : « ثلاثة لا يسلَم منهنّ أحد : الطِّيَرة والظنُّ والحسدُ . قيل له : فما المخرجُ منهنَّ يا رسول الله ؟ قال : إذا تطيّرت فلا ترجع ، وإذا ظننتَ فلا تحقق ، وإذا حسَدْتَ فلا تبغِ » .

قال الشيبانىُّ : لما قَدِمَ قتيْبةُ بن مسلم واليًا على خراسان قام خطيبًا ، فسقطتْ المخصرةُ من يدهِ ، فتطيّر به أهل خراسان ، فقال :

(١) انتهى من العمدة لابن رشيق ، ج ١ ص ٣٩ ، طبعة سنة ١٩٠٧ للخانجى

« أيها الناس ليس كما ظننتم ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألقَتْ عصاها وآستقرَّ بها النوَى ✲ كما قرَّ عيناً بالإِياب المسافر

وهنا يبدو حضورُ الذهن ، وروحُ التفاؤل لدى قتيبة .

وفى الأدب العربى كثير من النوادر عن التطيّر والتشاؤم ؛ ولا عجب فقد كانت العرب تتطيَّر من بعض الأقوال والأفعال ، وأصوات البوم والغربان . قال أبو الشيص :

وفى نعَبات الغراب آغتراب[1] ✲ وفى البانِ[2] بيْنٌ[3] بعيد التدانى

وقال آخر فى السفرجل :

أهدى إليه سَفرْجلا فتطيرا ✲ منه فظلَّ مفكراً مستعبِرا

خوْفَ الفراق لأن شطرَ هجائه ✲ سفرٌ وحق له بأن يتطيَّرا

ويتنافى التشاؤم مع العقل السليم ، ويدل على قِصر النظر ، والوسوسة ، وضعف العقيدة ؛ فنى التطير ظن بمعرفة الغيب ، « وما يعلمُ الغيْبَ إلا الله » . « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهوَ خيرٌ لكم » .

وكان آبنُ الرومى[4] كثير الطيرَةِ ، ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف ؛ تطيراً بسوء ما يراه ويسمعه ، حتى إن بعض إخوانه من

---

(١) أصوات الغراب ، يقال نعب الغراب أى صوت وصاح .

(٢) غصن البان الذى ينوح عليه الغراب . (٣) البين : الفراق .

(٤) ابن الرومى هو أبو الحسن على بن العباس المعروف بابن الرومى ، وهو من الشعراء العباسيين ، عرف بالهجاء والعتاب فى شعره ، وهو مولى يونانى ولد ببغداد سنة ٢٢١ ومات مسموماً سنة ٢٨٣ هـ .

الأمراء آفتقده[1]، فأعلم بحاله فى الطيرة ، فبعث إليه خادماً آسمه إقبال ، ليتفاءل به . فلما أخذ أهبته[2] للركوب ، قال للخادم : آنصرف إلى مولاك ؛ فأنت ناقص ، ومنكوس آسمك « لابقًا » . وآبن الرومى هو القائل : الفألُ لسانُ الزمانِ ، والطيرَةُ عنوان الحِدْثان[3] ، وله فيه آحتجاجات وشعر كثير .

وعجيب أن آثار تلك الروح ، روح التطير والتشاؤم لا تزال سائدة فى خرافات الأمم المتمدينةِ والمتوحشةِ ؛ فالمشىُ تحت السلم ، ورقم ١٣ ، والحلة الخضراء للعروس ، وكسر الآنية ، ورمى القلل القديمة وراء المبغضين . كلها تؤدى إلى السوء والشر فى نظر المخرفين المتشائمين . وما أبعد هذه الترهاتِ عن الحقيقة والواقع .

---

(١) افتقده وتفقده : طلبه عند رغبته . (٢) عدته .
(٣) حدثان الدهر : نوبه .

الفصل الثامن

٧ — التواضع وعدم التصنع

العنصر السابع من عناصر الشخصية التواضعُ وعدم التصنعُ ؛ وذلك بأن يكون لدى الإنسان آستعداد به يقدر نفسَه ومركزَه تقديراً يدل على التفكير والحكمة من غير تصنع ، أو تظاهر بما ليس فيه .

فإذا تصنع المرء وآدّعى صراحة أو ضمنا ما ليس فيه ؛ كأن يقدر نفسَه فوق قدرها ، ويُعطيها أكثر من حقها ، ويتعظم وما هو بالعظيم ، ويدّعى العلم وما هو بالعالم ، والثروةَ وما هو بالثرىّ ، والقوةَ وما هو بالقوىّ — إذا آدعى شيئًا من هذه الأشياء فقد يتضح أمره لدى الناس . ويتبين جهله أو فقرُه أو ضعفُه على عكس ما آدعى ، فيعلمون كذبه ، فيحتقرونه ويزدرونه ، وينفرون منه ، ويتباعدون عنه ، ويصبح ممقوتًا عندهم جميعًا .

وإن مدح الإنسان نفسَه ثقيلٌ لا يُقبَل ، وإذا قبل فإنه يجب أن يؤسس على حقائق . والأَوْلى أن يَترُكَ الإنسانُ عملَه ليدلّ عليه ، ويتحدثَ عنه ، بدلا من أن يتحدث هو عن نفسه . وإذا كان المرء جديراً بالمدح فسرعانَ ما تظهر حقيقتُه ، ويقدر الناس كفايتَه ، ويزنون أعمالَه ، ويعترفون بشخصيته ومقدرته .

فالتواضع فى غير ذِلةٍ سبيلُ النجاح والرفعة ، والتصنعُ سبيل الفشل والمَهَانة .

وإننا وإن كنا ضد التصنع والتظاهر ، لا نمنع أن نُنْزِلَ أنفسنا منزلتها ، ونَعُدُها وحدةً من المجموع ، لها ماله ، وعليها ما عليه ، ونستحسن أن نترك لغيرنا الحكم لنا أو علينا ، وأن نتحلَّى بالتواضع فى غير ضعف أو ضَعَة . فالتواضع أساسٌ للشخصية المحبوبةِ الجذابة . وإننا نجتذب غيرنا ، بقدر حبِّ غيرِنا لنا .

وإذا كانت الشخصية مظهراً لقوة النفس ، فهى عدوة الكذبِ والتضليل . فليس المهم أن يدَّعى الإنسان كذبا ، ولكن المهم أن يعمل حتى يثبت لنفسه العظمة إن كان عظيما ، والزعامة إن كان زعيماً .

عن أبى أمامة قال : خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) متوكئًا على عصا ، فقمنا له ، فقال : « لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا » . ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رِعدَة ، فقال له : « هوِّن عليك فإنى لست بملك ، إنما أنا ابنُ امرأة من قريش كانت تأكل القديد.[1] » وكان يَعُود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويُجيب دعوةَ العبد ، ويجلس بين أصحابه مختلطًا بهم حيثما انتهى به المجلسُ جلس . وكان يُدْعى إلى خبز الشعير والإهالة[2] السَّنِخةَ[3] فيجيب .

(١) القديد : اللحم المقدد (٢) الدسم : الزيت والشحم

(٣) يقال سنخ الدهن : زنخ .

وأصبح النجاشي يومًا جالسًا على الأرض والتاجُ عليـه ، فأعظمتْ بَطَارقتهُ ذلك ، وسألوه عن السبب الذى أوجبه . فقال : وجدت فيما أنزل الله على المسيح : إذا أنعمتُ على عبدى نعمةً فتواضع أتممتها عليه » ، وإنه وُلد لى هذه الليلةَ غلامٌ ، فتواضعت شكراً لله .

وقد كان التواضع يتمثل فى سيدنا عمرَ بن الخطاب (رضى الله عنه) فقد قال : أريدُ رجُلاً إذا كان فى القومِ وهو أميرُهم كان كبعضِهم ، وإذا لم يكنْ أميرَهم فكأنّه أميرُهم . وفى ذات مرةٍ خاطبه رجل بقوله : « اتّقِ الله يا أميرَ المؤمنين » ، فهال ذلك رجلاً كان حاضراً ، وقال : أتقولُ لأمير المؤمنين اتّقِ الله ؟

فقال له عمر : « دعْه فليقلها لى . نِعمَ ما قال . لا خيرَ فيكم إذا لم تقولوها . ولا خيرَ فينا إذا لم نتقبّلها » . وإلى مثل هذا ينتهى الأدبُ والتواضعُ ، ورقةُ الجانب ، ولطف المعاملة .

قال أبو تمّام :

مُتَبَذِّلٌ فى القومِ وهْوَ مُبَجَّلٌ ☆ متَواضعٌ فى الحىِّ وهْوَ مُعَظَّمُ

وقال آخر :

متواضعٌ والنُّبلُ يحرُسُ قدرَه ☆ وأخو التواضع بالنَّباهةِ يَنْبُلُ

وكان الرشـيدُ يتواضعُ للعلماء ؛ قال أبو معاويةَ الضريرُ ، وكان من العلماء :

أكلتُ مع الرشيدِ يوماً ، فصَبَّ على يدَىَّ الماءَ رجلٌ ، فقال لى : يا أبا معاويةَ ، أتدرى من صبَّ الماءَ على يدك ؟ فقلتُ : لا يا أميرَ المؤمنين .

قال : أنا . فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أنت تفعل هذا إجلالاً للعلم . قال : نعم[1]

ومما يحكى عن تواضع « لويس باستور[2] » العالم الفرنسىّ وهو من أعظم العلماء نفعاً للبشرية — فهو من الذين خدموا العلم ورقوه ، وعالج الكَلَبَ والجمرة وآفات الكروم والخنازير . . مما يحكى عنه أنّه دخل مرة فى مؤتمر طبىّ دولىّ عقد فى سنة ١٨٨١ فقام الأطباء ، وحيَّوْه بهتاف عال ، فنظر إلى جاره قائلاً : « أظن هذا الهتافَ لأن ولىَّ العهد قد حضر . كان يجب علىّ أن أبكّر » .

وممن يعدون مُثُلاً عليا للتواضع ، « المهاتما غاندى » ؛ فقد سئل مرة : لماذا تركب فى الدرجة الثالثة من قُطُرِ السكةِ الحديدية ؟ فقال : « لأنى لا أجد فيها درجة رابعة » .

والتصنع والتظاهر والجعجعة من علامات الضعف ؛ فالرجل الذى يشعر بنقص فى ناحيــة يعملُ على أن يَسُدَّ ذلك الفراغَ ، ويكمل ذلك النقصَ بالادعاء حيناً ، والإعلان أحياناً .

---

(١) انتهى من الفخرى .

(٢) Louis Pasteur (ولد سنة ١٨٢٢ ، وتوفى سنة ١٨٩٥ م) .

قالَ المأمونُ : ما تكبَّرَ أحدٌ إلاَّ لنقصٍ وجَده فى نفسِه ، ولا تطاوَلَ إلاَّ لوَهْنٍ أَحَسَّ مِن نفسِه . وأظنك قرأت فى كليلةَ ودمنةَ أن ثعلبًا أتى أجمة[1] فيها طبلٌ معلقٌ على شجرة . وكلما هَبَّت الريحُ على قضبان تلك الشجرة حركتها . فضربت الطبل ، فَسُمِعَ له صوت عظيم ، فتوجه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته . فلما أتاه وجده ضخمًا ، فأيقَنَ فى نفسه بكثرة الشحم واللحم . فعالجه حتى شقَّه . فلما رآه أجوفَ لا شيء فيه قال : لا أدرى ! لعلّ أفشل الأشياء أجهرُها صوتًا ، وأعظمُها جُثَّة .

فليس من الحكمة أن يغتر الإنسان بالمظاهر ؛ فقد دخل كثيِّر عَزةَ على عبد الملك بنِ مروانَ ، فقال عبدُ الملك : أأنت كثيرُ عَزّة ؟ قال : نعم . قال أن تسمعَ بالمعيدىِّ خير من أن تراه . فقال يا أميرَ المؤمنين : كلٌّ عند محلّه رحْبُ الفِناء ، شامخ البناء ، عالى السَّناء . ثم أنشأ يقول قصيدة من أبياتها :

ترى الرجلَ النحيفَ فتزدريه ✲ وفى أثوابه أســد هَصُور
بُغَاث الطـير أطولُها رِقابًا ✲ ولم تَطُل البُزاةُ ولا الصُّقُورُ
ضِعَاف الأُسدِ أكثرُها زئيراً ✲ وأصْرَمُهـا اللواتى لا تَزِير
فما عِظَمُ الرجال لهم بزيْنٍ ✲ ولكن زيْنُهم كرَم وخِـيرُ

---

(١) الشجر الكثير الملتف .

فقال عبدُ الملك : لله درُّه . ما أفصحَ لسانَه ، وأضبطَ جَنَانَه[١] ، وأطولَ عِنَانَه . والله إنى لأظنه كما وصف نفسَه .

وقد اجتمع عامرُ[٢] بن الظَّرِب العَدَوَانىّ وحُمَمَةُ بن رافع الدَّوسى عند ملك من ملوك حِمير ، فقال : تَسَاءلاَ حتى أسمع ما تقولان . فقال عامر لحممة : مَن أحقُّ الناس بالمقت ؟ قال : الفقير المختال ، والضعيف الصوّال[٣] ، والعيىّ[٤] القوّال .

ووقف عيينة بنُ حصن بباب عمر بنِ الخطاب (رضى الله عنه) فقال : آستأذنوا لى على أمير المؤمنين ، وقولوا : « هذا آبن الأخيارِ بالباب . » فأذن له ، فلما دخل عليه قال له : أأنت آبن الأخيار ؟ قال : نعم . قال له : بل أنت آبنُ الأشرار ، وأما آبن الأخيار فهو يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إبرهيم .

وقال يحيى بن حيان : الشريف إذا تقوّى تواضع ، والوضيع إذا تقوّى تكبر . وقال كسرى : احذروا صولةَ الكريمِ إذا جاع ، واللئيمِ إذا شَبِــع .

وقيلَ مَن وضَع نفسَه دُونَ قَدْرِهِ رفَعهُ الناسُ فوقَ قدرِه . ومن رفعَها عن حَدِّه وضَعَه الناسُ دونَ حَدِّه . وقال عبد الملك : أفضلُ الرجالِ من تواضعَ عن رِفعةٍ ، وعفَا عن قُدرَةٍ ، وأنْصفَ عن قوة .

---

(١) قلبه وعقله . (٢) وفى رواية عمرو . (٣) الصوال : المعتدى على غيره . (٤) العيي : من عنده لكنة .

الفصل التاسع

٨ — حسن مظهر الإنسان وقوامه

لمظهر الإنسانِ أثر فى شخصيته ؛ فالرجل الصحيحُ الجسم ، الحسن القامةِ ، قد لا يحتاج فى إظهار شخصيته والتأثيرِ فى غيره إلى ما يحتاج إليه الشخص النحيفُ الجسم ، المشوّهُ الخلقةِ ؛ فبينما تجد الأول طبيعيًّا فى معاملته ؛ لأنه لا يشعر بنقص خارجي يريد أن يكمله إذ تجد الثانيَ محبًّا للتظاهر ، متكلفًا فى أقواله وأفعاله ، منتهزاً كل وسيلة يستطيع أن يظهر بها نفوذه ؛ فيتظاهر بالعلم تارة ، ويفخر بحسبه ونسبه تارة أخرى . وقد يتخذ أحيانًا وسائل ثعبانية أو ثعلبية ؛ ليظهر بها نفسه أمام من يبغى الظهورَ بينَهم ، فيلجأ إلى الوشاية حينًا ، وإلى الملَق حينًا آخر . وقد يُضْطَر إلى التجمل فى جسمه ولبسه ، أو المداعبةِ فى حديثه ؛ كلّ ذلك ليكمل ما فيه من نقص جسمىّ .

فالإنسان حينما يُحس نقصًا من الناحية الجسمية مثلا ، تراه يعمل على أن يملأ هـذا الفراغ ، ويكملَ ذلك النقصَ من الناحية العقلية أو الخلقية ؛ حتى يُظهر شخصيته للملأ . فسقراط[١] مثلا شيخ الفلاسفة من اليونان ، كان أفطسَ الأنف . غليظَ الشفتين ، جاحظَ العينين ،

(١) ولد بأثينا سنة ٤٦٩ ق . م . وحكم عليه بالقتل ظلماً سنة ٣٩٧ ق . م

قبيحَ المنظر ، ولكنه قد وصل بمواهبه العقلية والخلقية الأخرى إلى ذِروة المجد . ويكفيه فخراً أنه أستاذ أفلاطون ، وأنه أكبرُ فلاسفة اليونان .

والجاحظ[1] كان أديبَ العلماء ، وعالمَ الأدباء ، وما لُقِّب بهذا اللقب الذى كان مُبَغَّضاً إليه إلا لأنه كان جاحظ العينين (بارزهما) ، دميمَ الخلقة ، حتى قيل : إن الخليفة المتوكلَ سمع بمنزلته من العلم والفهم ، فاستقدمه إليه (بُسرَّ منْ رَأى) ليؤدبَ ولدَه . فلما رآه آستبشع منظرَه ، وصرفه بعشرة آلافِ درهم . ولكنه بجانب ذلك كان خفيفَ الروح ، ذكى الفؤاد ، واسعَ الاطلاع . وكان يعد دائرة معارف فى الآداب والعلوم واللغة والتاريخ ؛ حتى أصبح لقبهُ ـ الذى كان يكرهه ـ دليلاً على التبحر فى العلم والأدب ، والفوقِ فى فنون البلاغة والبيان . سئل كيف حالك يا أبا عثمان ؟ فقال : « حالى أنّ الوزيرَ يتكلمُ برأيى ، وينفذُ أمرى ، ويواتر الخليفة الصِّلات إلى . . » والتاريخ حافل بكثير من العظماء المشوهةِ أجسامُهم ، الساميةِ أرواحُهم وعقولهم . فلا تستهن برجل قبيح المنظَر ، ولا تغــتر بشخص حسَن المظهَر ؛ فقد تجد فى الأول عَظمةً وبطولة ، وقد تجد فى الثانى نقصاً أو ضعفاً فى أية ناحية من النواحى ، ولا حاجة بنا إلى التطويل . وكل ما نريد أن نقوله : هو أنه إذا نقصَ الإنسان من جهة حاول أن يكملَ نفسَه من جهة أخرى ، وإذا حُرِم الإنسان صفة من الصفات وُهِبَ صفة أخرى تحل محلها .

(١) ولد بالبصرة سنة ١٦٠ هـ ، وتوفى سنة ٢٥٥ هـ . وعاش نحو ٩٥سنة.

الفصل العاشر

٩ — قوة البيان

إن قوة البيان، وفصاحةَ اللسان ، وحسنَ المنطق، والقدرة على التأثير في السامع مع رجاحةِ العقل ، تُكسب الإنسان شخصية ، وتجعل له منزلة بين سامعيه ؛ ولذلك لما أمر الله تعالى سيدنا موسى (عليه السلام) أن يذهب إلى فرعونَ ، شكا موسَى العيّ في القول ، وطلب من الله أن يرسل معه أخاه هرونَ لفصاحته ، قائلاً : « وأخي هرونُ هو أفصحُ مني لساناً فأرسلْه معي رِدءاً[1] يصدقُني » يريد فرعون .

وإننا لا نريد بالفصاحة الثرثرةَ والتشدقَ ، والتوعرَ في الكلام ، كما لا نريد بها أن يزيد كلام الإنسان على عقله ، بل نريد حسن التعبير عما في النفس ، وقوة التأثير في المستمع ، والتكلم من غير تهيب أو تخوف بحيث يكون الكلام حلواً رشيقاً ، سهلاً عذباً مؤثراً . أما العِيّ[2] والحصر[3] واللجلجة[4] والتمتمة[5] والفأفأة[6] وكثرة التردد في القول ، والخجلُ في أثناء التكلم فتقلل من تأثير الشخص في سامعيه .

---

(١) عونا ومساعدا (٢) البطء في الكلام (٣) العي وضيق النفس
(٤) التردد في الكلام (٥) رد الكلام إلى التاء والميم
(٦) ترديد الكلام كثيراً .

وإنّ حسن التعبير عما فى النفس شرط أساسى لقوة الشخصية ، وهو يتطلب العلم بالشيء الذى نريد التكلم عنه ؛ لأن أفكارنا إذا عرفت كان من السهل التعبير عنها .

وكما يجب أن نعرف ما نريد أن نقول ، وما نريد أن نفعل ، كذلك يجب أن نُحسن القول ، ونحسنَ العمل . وما أجمل الكلمة الصائبة فى اللحظة المناسبة . وكما ينبغى حسنُ التكلم والخطاب ، كذلك ينبغى حسنُ الإصغاء والاستماع للمتكلم . وقد تكون لدينا الأفكارُ الساميةُ ، ولكننا نحتاج إلى شجاعة فى إظهارها حتى ينتفع بها غيرنا .

ولقوة البيان أثر كبير فى نفس المستمع ؛ فقد تنجِّى من القتل ؛ قيل :

أُتى مُصعب بنُ الزبير[1] بأسرى من أصحاب المختار ، فأمر بقتلهم بين يديه ، فقام إليه أسير منهم ، فقال : أيها الأمير ، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ، ووجهك المليح الذى يُستضاء به . فأتعلقَ بك وأقول : يا رب ، سل مُصعبًا فيمَ قتلنى ؟ فاستحيا مصعب ، وأمر بإطلاقه . فقال الأسير : أيها الأمير ، آجعل ما وهبْتَ من حياتى فى خفض ودَعَةٍ من العيش . قال : قد أمرت لك بثلاثين ألف درهم . قال : إنى أشهدك أيها الأمير أن شطر هذا المال لعبد الله ابن قيس الرُّقيَّات ، قال : ولِمَ ذلك ؟ قال : لقوله :

---

(١) انتهى من العمدة لابن رشيق ج ١ ، ص ٤٢ طبعة سنة ١٩٠٨ الخانجى

إنما مُصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظَّلْماء .

فضحك مصعب . وقال : اقبض ما أمرنا لك به . ولابن قيس عندنا مثله . فما شعر عبد الله بن قيس إلا وقد وافاه المال

وإن الرجل الفصيح تكون الأعناقُ إليه أميل ، والعقول عنه أفهم ، والنفوسُ إليه أسرع . وقد ذكر الله لنبيه (صلى الله عليه وسلم) حال قريش فى طلاوة عباراتهم ، وخلابة ألسنتهم ، واستمالتهم الأسماعَ بحسن منطقهم ، فقال : « وإن يقولوا تسمعْ لقولهم » . وكلّما كان اللسان أبينَ كان أحمد .

قال الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين[1] :

والبيان اسم لكل شيء كشفَ لك عن قِناع[2] المعنى ، وهتكَ لك الحُجب دون الضمير ، حتى يفضى السامع إلى حقيقته ، ويهجُم على محصوله[3] ، كائنًا ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان ذلك الدليل ؛ لأن مدارَ الأمر ، القصد الذى إليه يجرى القائل والسامع : إنما هو الفهم والإفهام ، فبأى شيء بلغت الإفهام ، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع .

قيل لجعفر بن يحيى البرمكى : ما البيان ؟ قال : أن يحيط لفظك بمعناك ، ويكشف عن مغزاك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يستعان عليه

---

(١) جـ ١ ص ٤٢ طبعة «محب الدين الخطيب» (٢) حجاب ، والمراد خفى
(٣) بقيته

بالفكرة ، ويكون سليماً من التكلف ، بعيداً من الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأويل .

وذكر سهل بن هرون[1] جعفر بن يحيي فقال :

قد جمع فى كلامه و بلاغته الهذَّ[2] والتمهل ، والجزالةَ والحلاوة . وكان يُفهم إفهاماً يغنيه عن الإعادة للكلام . . . فإنه لا يتحبَّس ولا يتوقف فى منطقه ، ولا يتلجلج ، ولا يتسعَّل ، ولا يترقب لفظاً قد آستدعاه من بُعد ، ولا يلتَمِسُ معنى قد عصاه بعد طلبه له .

فمثل جعفر بن يحيي يقال إن لديه قوة بيان .

وقيل : البيان بَصر ، والعىّ عَمى ، كما أن العلم بصر ، والجهل عمى ، والبيان من نتاج العلم ، والعى من نتاج الجهل . قال سهل بن هرون : العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان تَرجُمَان العلم . وقيل : حياة المروءة الصدق ، وحياة الروح العفاف ، وحياة الحلم العلم ، وحياة العلم البيان . وقال يونس بن حبيب : ليس لعييّ مروءة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ، ولو حك بيافوخه عنان السماء . وقال آبن التوام : الروح عماد البدن ، والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم .

وقال الجاحظ : وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه فى ظاهر لفظه ، فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً ، وكان

---

(١) كان خطيباً شاعراً توفى سنة ١٧٣ هـ (٢) الهذ : السرعة

صحيح الطبع ، بعيداً من الاستكراه ، ومنزهاً عن الاختلال ، مصونًا عن التكلف — صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحَبها الله من التوفيق ، ومنحها من التأييد ، ما لا يمنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة .

وقد قال عامرُ بنُ عبد القيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، وإذا خرحت من اللسان لم تجاوز الآذان .

وقال الحسن (رضى الله عنه) وسمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ، ولم يَرقّ عندها ، فقال له : يا هذا إن بقلبك لشرا أو بقلبي .

وقيل[1] : إن أول ما عُرف من تقدم الأحنف بن قيس أنه وفد على عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وكان أحدث القوم سنًّا ، وأقبحهم منظراً . فتكلم كل رجل من الوفد بحاجته فى خاصته ، والأحنف ساكت ، فقال له عمر : قل يا فتى ؟ فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن العرب نزلت بمساكن طيِّبة ، ذات ثمار وأنهار عذبة ، وأكِنّة ظليلة ، ومواطن فسيحة ، وإنا نزلنا بسَبخة[2] نشاشة[3] ، ماؤها ملح ، وأفنيتها ضيقة . وإنما يأتينا الماء العذب فى مثل حلق النعامة

---

(١) من زهر الآداب ج ٣ ص ٦٠ طبعة مصطفى محمد (٢) أرض سبخة أى ذات ملح ونز (٣) سبخة نشاشة : لا يجف ثراها ، ولا ينبت مرعاها

بالأنزار ؛ كنا يا أمير المؤمنين نحفر نهراً يقدر ماؤه ، حتى تأتى الأمة فتغرف بجرتها و إنائها ، ونوشك أن نهلك . قال : ثم ماذا ؟ قال تزيد فى صاعِنا[١] ومُدّنا ، وتثبت من تلاحق فى العطاء من ذريتنا . قال : ثم ماذا ؟ قال : تخفف عن ضعيفنا ، وتنصف قوينا ، وتتعاهد ثغورنا ، وتجهز بعثنا . قال : ثم ماذا ؟ قال : إلى هنا انتهت المطالب ، ووقف الكلام . قال : أنت رئيس وفدك ، وخطيب مصرك ، قم عن موضعك الذى أنت فيه ، فأدناه حتى أقعده إلى جانبه ، ثم سأله عن نسبه ، فانتسب له ، فقال أنت سيد تميم ، فبقيت له السيادة حتى مات .

فبحسن البيــان كان للأحنف بن قيس منزلة سامية بين الخلفاء والأمراء ، مع أنه كان دميم الخلقة ، أصلع الرأس ، متراكم الأسنان ، مائل الذقن . ناتئ الوجنتين ، ماحق العينين . وكانت العيون تقتحمه لدمامته ، وقلة روائه ، ولكنه كان إذا وقف ليتكلم أصغت القبائل إليه ، وانثالت عليه ، وخشعت الأبصار لكلامه . وقال الناس : هذا أبو بحر ، هذا خطيب بنى تميم .

وقيلَ أمر الحَجَّاجُ صاحبَ حرسِه أن يطوفَ بالليل ، فمن رآه بعد العِشاء سكرانَ ضرب عُنقَه . فطاف ليلةً من الليالى ، فوجد ثلاثةَ فِتيانٍ يتمايلون وعليهم أماراتُ السُّكر . فأحاطت بهم الغلمان . وقال لهم

(١) الصاع الذى يكال به

صاحبُ الحرسِ : مَن أنتم حتى خالفتم أمرَ أميرِ المؤمنين ، وخرجتم فى مِثلِ هذا الوقتِ ؟ فقال أحدهم :

أنا آبنُ من دانتِ الرقابُ لهُ * ما بين مخزومِها وهاشمِها
تأتيه بالرغم وهْىَ صاغرةٌ * يأخذ مِن مالِها ومن دمِها

فأمسكَ عنه وقال : لعلّه من أقاربِ أميرِ المؤمنين . ثم قال للآخر : وأنت من تكون ؟ فقال :

أنا آبن مَن لاتَنزِلُ الدَّهرَ قِدرُهُ * وإن نزلَتْ يومًا فسوف تعودُ
ترى الناسَ أفواجًا إلى ضوءِ نارِه * فمنهم قيامٌ حولَها وقعودُ

فأمسكَ عنه ، وقال : لعلَّه آبنُ أشرفِ العربِ . ثم قال للآخَرِ :

وأنتَ مَن تكون ؟ فأنشدَ على البديهةِ :

أنا آبنُ من خاضَ الصفوفَ بعَزمه * وقوَّمها بالسيفِ حتى آستقامَتِ
وركْبَاه لا ينفكُّ رِجلاه منهما * إذا الخيلُ فى يومِ الكريهةِ وَلَّتِ

فأمسكَ عنه ، وقال : لعلَّه آبنُ أشجعِ العَربِ . وحافظ عليهم جميعًا.

فلما كان الصّباحُ رفَع أمرَهم إلى أميرِ المؤمنين ، فأحضرهم ، وكشَف عن حالهم ؛ فإذا الأولُ آبنُ حجَّامٍ ، والثانى آبنُ فوَّالٍ ، والثالثُ آبنُ حائكٍ . فتعجَّب من فصاحتِهم ، وقال لجلسائِهِ : علِّموا أولادَكم الأدبَ ؛ فوالله لولاَ فصاحتُهم لضربْتُ أعناقَهم .

وذُكِر أن الباديةَ قحِطَتْ أيامَ هشامِ بنِ عبدِ الملك ، فوفَد عليه رءوسُ القبائلِ . فجلسَ لهم وفيهم صبيٌّ آبنُ أربعَ عشْرةَ سنةً يسمى دِرْواسَ بنَ حبيبٍ ، فى رأسه ذُؤابةٌ(١) ، وعليه بُردَةٌ يَمَنِيةٌ ، فاستصغره هشامٌ وقال لحاجبه : « ما يشاء أحدٌ أن يَصِلَ إلينا إلاّ وصَل حتى الصبيانُ » .

فقال دِرْوَاسٌ : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ دخولي لم يُخِلَّ بك ، ولا آنتقَصك ، ولكنه شرّفني . وإن هؤلاء قدِمُوا لأمرٍ فهابُوكَ دونه . فأعجبه كلامُه ، وقال : آذكُر ما تشاء ، لا أُمَّ لك(٢) .

فقال : إنّا أَصابَتْنا سِنونَ ثلاثٌ : فسَنَةٌ أَكلَت اللحمَ ، وسَنَةٌ أذابَتِ الشحم ، وسَنَةٌ أنقَتِ(٣) العَظْم . وفى يديكم فُضُولُ أموالٍ ؛ فإن كانت لله عَزَّ وجلّ ففرِّقوها على عباده ، وإن كانت لهم فلا تَحْبسوها عنهم ، وإن كانت لكم فتصدّقوا بها عليهم ، فإن الله يَجْزِى المتصدِّقين ، وَلا يُضِيعُ أجرَ المحسِنين . وإن الوالىَ من الرعية كالرُّوحِ من الجسدِ لا حياةَ له إلا به .

فقال هشام : ما تركَ الغلامُ فى واحدةٍ من الثلاثِ عذراً . وأمرَ بمائةِ ألفِ دينار ففُرِّقتْ فى أهلِ الباديةِ . وأمرَ له بمائةِ ألفِ دِرهم .

فقال دِرواسٌ : أُردُدْها فى جائزةِ العَرب ؛ فما لِى حاجةٌ فى خاصّة نفسى دُونَ عامّةِ الناس .

---

(١) شعر فى منبت الناصية من الرأس (٢) يوضع هذا موضع المدح . (٣) أخذت

الفصل الحادى عشر

١٠ — الثقة بالنفس والاعتماد عليها

من العناصر الأساسية فى تكوين الشخصية الثقةُ بالنفس أولاً ، والاعتمادُ عليها ثانيًا . ومتى وجدت الثقةُ بالنفس فمن السهل الاعتمادُ عليها فى كل عملٍ ممكنٍ من الأعمال ، وفى التغلب على مشاق الحياة . والسبب فى كثرة الاعتماد على الناس أن الغريزة الاجتماعيةَ قويةٌ فى الجنس البشرى ، متأصلة فيه ، وأننا اعتدنا التفكيرَ الجمعىّ لا التفكير الاستقلالىّ .

فينبغى أن نعوّد الأطفالَ الاعتمادَ على أنفسهم ، والاستقلالَ فى تفكيرهم ، من غير اتكالٍ على أحد كى يستطيعوا فى المستقبل أن يعيشوا مستقلين بأنفسهم .

ولا يُرادُ بذلك أن يعتزل الإنسان العالم ، وينقطعَ عن الناس ، ويفكرَ فى نفسه فحسب ، فليس هذا من الإنسانية فى شىء ، بل إنه باعتزالِه غيرَه يفقِدُ كثيراً ، ولا يربح إلا قليلا . ولكننا نريد تعويدَ الأطفالِ الاستقلالَ الشخصىّ ، والقدرةَ على القيام بأعباء الحياة من غير اتكال على غيرهم فى كل شىء حتى يمكنهم أن يقوموا بواجبهم نحوَ أنفسهم ، ونحوَ المجتمع .

والاعتماد على النفس يتطلب أن يكون لدينا شىء جوهرى يمكن الاعتماد عليه هو الثقة بالنفس ، والدقةُ في العمل ، والتحققُ منه ؛ حتى تكون أحكامنا صائبة ، وأمورُنا نافذة ، وأقدامُنا ثابتة . أما إذا انتفت الثقـةُ بالنفس أو الدقةُ فى العمل أو التثبتُ منه ، فالاعتماد على النفس حينئذ يكون عبثاً ومن قبيلِ الأحلام .

والرجل الواثق بنفسِه ثقـة بعيدة عن الغرور والاستبداد ، الواثقُ بقولِه وفعلِه يستطيع أن يقف وحدَه منادياً برأيه ، مبرهناً على سدادِه وصوابه . وليس من يستقِلّ برأيه فى أمر من الأمور يكون مخطئاً دائماً ، بل قد يكون مصيباً فى رأيه ، وقد يسبقُ فى آرائه المجتمعَ الذى يعيش فيه بعشرات السنين ، كأمثال المصلحين ؛ فإنهم غالباً يكونون فى واد ، والمجتمع فى واد آخر ، لا يقدر رأيهم إلا بعـد مماتهم . و بالمصلحين الذين يثقون بأنفسهم يحيا المجتمع .

و إذا مدحنا الثقة بالنفس فلا نمدح الإفراط فيها ؛ لأنه قد يكون علامة على الضعف لا على القـوة ، كما لا نمدح ضعف الثقة فإنه دليل على ضعف الشخصية .

قال « جوستاف لوبون » : من وَثِق بنفسه لا يحتاج إلى مدح الناس إياه . ومن طلب الثناء فقد دل على ارتيابه فى قيمة نفسه .

الفصل الثانى عشر

١١ — اعتدال المزاج

من العناصر الهامة المؤثرة فى الشخصية : المزاجُ . وقد تكلمنا عنه بالتفصيل فى الجزء الثالث من كتابنا « فى علم النفس » . فارجع إليه إن شئت . وكل ما نريد أن نقوله هنا بالإيجاز هو أن الناس يختلفون فى أمزجتهم ، كما يختلفون فى شخصياتهم ؛ فهذا متفائل ، وذاك متشائم . وهذا سريع التأثر ، وذلك بليد لا يكاد يتأثر . وهذا كثير التردد ، وذلك كثير الإقدام . كلٌّ له مزاجٌ خاص ، وسلوك يختلف باختلاف ذلك المزاج .

ولكن ما السببُ فى اختلاف هذه الأمزجة ؟ وللأجابة عن هذا السؤال يجب أن نذكر رأىَ العلماء قديمًا ، والعلماء حديثًا ؛ حتى تتضح لنا الأسبابُ التى من أجلها اختلفت الأمزجة ، فنقول .

إن العلماء قديمًا حاولوا تقسيمَ الأمزجةِ إلى أربعة أقسام : دموى وصفراوى وبلغمى وسوداوى ، وبنوا هــذا التقسيم على السوائل والإفرازات الجسمية (١) ؛ فالشخص الاجتماعى المتفائلُ ، الواثقُ بنفسه ،

(١) The Fluids of the body.

الغيورُ على عمله ، الصافى الذهن ، الحادّ الذاكرة كانوا يعتبرونه كثير الدّمِ ، وبعبارة أخرى دمويّ المزاجِ (١) .

والشخص العنيد ، السريعُ الانفعال ، القويُّ الإرادة ، كانوا يقولون إن لديه كميةً زائدةً من الصفراء أو المِرّة ، ويدعونه صفراويَّ المزاج (٢) .

والشخص الهادئ الذى يغلب عليه الكسل ، وتلوح عليه البلادة ، الذى لا يبالى ولا يكترث كثيراً ، ولا يتأثر بسهولة ، كانوا يحسون أن عنده مقداراً زائداً من البلغم ، ويسمونه بلغمياً (٣) .

أما الشخص الذى تنتابه الأحزان ، وتلعب به الوساوس ، وتتقاسمه الهموم والمخاوف من غير سبب ، ولأقل سبب — فكانوا يخالون أن لديه زيادة فى المِرّة السوداء أو الطحال ، ويَعُدُّونه سوداوياً (٤) .

وقد زاد بعضهم مِزاجًا خامسًا وهو المزاج العصبيُّ الناشىء عن وفرة السائلِ العصبيِّ (٥) .

أما المحدثون من العلماء فيرون أن هذا التعليلَ قديمٌ لا قيمة له من الوجهة العلمية ؛ لأنه مبنى على الجهل بعلم وظائف الأعضاء ، وعلى نقص فى المباحث العلمية قديمًا . وهم وإن أنكروا هذا التعليل فى آختلاف الأمزجة ، لا ينكرون آختلافها ، ويسلمون بتعدد أنواعها ، ويعتقدون

---

(١) Sanguine (٢) Choleric (٣) Phlegmatic
(٤) Melancholic (٥) The Nerve fluid

أن هناك أسبابًا أخرى لاختلاف الأمزجة كالوراثة والمنـاخ والبيئة والغذاء ، والمرض ، وضعف الأعصاب ، كما يعتقدون أن إفرازات الغدد لها أثرٌ كبير فى آختلاف الأمزجة ؛ فمزاج الشخص يختلف باختلاف قوة إفراز الغدد أو ضعفه . فلهذه الإفرازات تأثير كبير فى الجسم والعقل ، وعنها وعن الأمور السابقة ينشأ الاختلافُ فى الأمزجة .

فالمزاج فى رأى المحدثين يتأثر بالمواد الكيميائية و إفرازات الغدد المختلفة التى يحملها الدمُ إلى المخ والعضلات ، لا بوفرة الدم ، أو الصفراء ، أو البلغم ، أو السوداء كما يقول القدامى من العلماء . ومن هذه الغدد :

١ — الغدتان الخاصتان بالكُليتين[1] . ولهما صلة بالانفعالات والعواطفِ ، فإذا كان إفرازهما قوياً كان الشخص سهلَ التأثر ، سريعَ الغضب . وإذا كان إفرازهما ضعيفاً كان حليما بطيء التأثر ، قليلَ الغضب .

٢ — والغدد النكفِية هى غـدد صغيرة أسفل العنق ، ولها صلة بالذكاء ؛ فإذا كانت قوية الإفراز كان الشخص ذكيًّا و بالعكس . ويرى (مكدوجل) ـ وهو حجة فى علم النفس ـ أن الضعف العقلىّ ينشأ عن قلةِ إفرازِ الغدد النكفية أو عن عدم وجودها .

٣ — وغدة تفاحة آدم ولها صلة بنشاط الشخص ومثابرته على العمل . و بالتجربة رأى بعض الأطباء وعلماء وظائف الأعضاء أن للغدد

---

(١) Adrenal glands

تأثيراً قوياً فى الإنسان . وقالوا — ونرجو أن تثبت التجارب قولهم — إن بالعمليات الجراحية يمكن تنظيمُ إفراز غدّتى الكليتين ، وتغييرُ سلوكِ الشخص وطباعه .

وإذا ثبت أن للغدد تأثيراً كبيراً فى ذكاء الشخص ومزاجه ، فينبغى التفكيرُ فى معالجة الضعف العقلى وحدةِ الطبع من الوجهتين الطبيةِ والنفسيةِ معًا . ومجملُ القول أن الشخصيةَ القويةَ يجب أن تتحققَ فيها العناصرُ الآتية : —

(١) الجاذبية . (٢) النشاط العقلى أو الذكاء .
(٣) المشاركة الوجدانية . (٤) الشجاعة .
(٥) الحكمة . (٦) التفاؤل .
(٧) الاعتدال وعدم التظاهر . (٨) حسن مظهر الإنسان وقوامه .
(٩) قوة البيان . (١٠) الثقة بالنفس والاعتماد عليها .
(١١) اعتدال المزاج .

الفصل الثالث عشر

أنواع الشخصية

الشخصية نوعان : عملية ، وفكرية ، ولنتكلم عن كل منهما بالتفصيل فنقول : —

(١) الشخصية العملية :

كثيراً ما يسأل الإنسان : أيهما أفضل : الأمور النظرية أم العملية ؟ وبعبارة أخرى أيهما أفضل : الأفكارُ أم الأعمال ؟ وجوابنا عن ذلك أننا لا نستطيع التفضيل أو التفرقة بين النظريات والعمليات ؛ فنحن فى حاجة إليهما معاً ، وكلاهما متوقف على الآخر ، ومكمل له ، لا ضده ونقيضه كما يظن بعض السائلين ؛ فالأفكار أمهات الأعمال ، ومن الممكن اجتماعهما فى شىء واحد .

وكما أن للأمور ناحيتين : إحداهما نظرية ، والأخرى عملية فللشخصية كذلك ناحيتان : نظرية ، وعملية ؛ فالرجل مثلاً قد يكون موضع الإعجاب ؛ لأفكاره أو لأعماله ، ولو أن الأعمال فى النهاية نتيجة للأفكار . ومع ذلك فقد تغلب على الإنسان إحدى الناحيتين : النظرية أو العملية ، تبعاً للميل والعادة ؛ فهذا قد يميل إلى الجهة العملية ،

وذلك قد يميل إلى الناحية الخيالية ، فتُنَمَّى فيه بطريقة التعود هذه الناحية أو تلك .

ولا شك فى أن الشخصية العملية التى تظهر بالعمل والتنفيذ أكثرُ أثراً وظهوراً فى الحيـاة العملية من الشخصية الخيالية البعيدة عن هذه الحياة . والأولى كممثل يقوم بتمثيل دوره عملياً على المسرح أمام الناس ، والثانية كمن يقوم بتمثيل دوره فى الخفاء أو وراء الستار ، بعيداً عن الأنظار . فأثر الأولى أكثر وضوحاً وظهوراً من أثر الثانية . وتتمثل هذه الشخصية العملية فى المصلحين وقادة العمل والمستكشفين الذين نرى آثارَهم فى أعمالهم التى قاموا بتحقيقها وتنفيذها خدمة للإنسانية . وتتمثل الثانية فى الشعراء والفلاسفة والخياليين الذين يقومون بتصوير الأشياء ووصفها ، فيغوصون تارة فى بحارِ الحقيقة ، ويسبحون طوراً فى عالم الخيال ، ولا ينكر فضلهم أحد ، ولكن أثرهم فى هذا العالم الماديّ أقلُّ ظهوراً ؛ ففى اليوم الذى اجتاز فيه بليريوت (Bleriot) القنال الإنكليزى بطيارته كانت الأفكار كلُّها ، وأحاديث الفخر والإعجاب موجهة إليه ، لا إلى العالِم الذى فكر فيها عدة سنوات حتى اخترعها .

وإننا لا نقصد بذلك أن نقلّلَ من قيمة العلماء والمفكرين أو قادة الفكر ، ولكننا نقصد الاعترافَ بأن تأثيرَ رجالِ الأعمال أظهر من تأثير رجال الفكر ، وأننا نتأثر بالأعمال النبيلة أكثر من تأثرنا بالأفكار مهما كانت سديدة . ولا ننكر أن الفكر والوجدان ينتهيان بالعمل .

ومنذ زمن ليس بالبعيد كانت التربية تفكر فى العلم أكثر من العمل؛ فكان الإنسان إذا آختُبِرَ سئل عن « مقدار ما يعرفه » ، أما اليوم فقد تبدلت الحال ، وآنعكس الأمر ، فأصبحت التربية تعنى كل العناية بالعمل والأعمال ، وأصبحت الأسئلة : « ماذا فعل الإنسان ؟ وماذا يستطيع أن يفعل ؟ وما مقدار ما يفعل ؟ »

ولم تكن الجامعات فيما مضى لتعنى بالجانب العملى من الحياة ، ولم تكن لتعملَ على تربية رجال ليعملوا ، بل كانت عنايتها موجهة إلى تكوين رجال مثقفين حباً فى الثقافة ، معلَّمين حباً فى العلم ؛ ليكونوا كزينة لها أينما وجدوا فى الأسرة أو فى المجمع الدينى أو فى المجمع الأدبى . وكان الرجل الجامعى المثقف لا يُنتَظَر منه أن يعمل شيئاً بيده ؛ فكان كأداة من أدوات الزينة . وكان المجتمع يزدريه ويحتقره إذا حاول أن يعمل عملاً يدوياً ؛ أما الأعمال اليدوية ، وأما الصناعات فكانت خاصة بالطبقة الفقيرة التى تدعى الطبقة العاملة . وكان يظن خطأ أن هذه الطبقة خُلِقتْ لتعمل ، أما الطبقة الأخرى فخلقت لتفكر .

وقد آنقضت — ولله الحمدُ — تلك الأيام ، وذهب ذلك العهد ، وأصبحت الفكرة السائدةُ أن التفكير غيرُ مقصور على طبقة من الطبقات ، وأن العمل لا تختص به طائفة دونَ أخرى ، وصار التعليم عامًّا بين الفقراء والأغنياء على السواء ، لا يمتاز به هؤلاء من أولئك ، وجعِلَ وسيلة لإعداد الجميع للقيام بواجبهم العلمى والعملى والأدبى فى

الحياة . وأصبحت الفرصة — فرصة العمل — سانحة أمام الجميع من غير ما تفريق . فالعلم الآن فى هـذا العالم المادى لا يصلح فى نظر الماديين — وما أكثرهم — لأن يكون غاية مستقلة ، بل يجب أن يكون وسيلة للعمل . ولسنا فى شك مطلقاً من أن العلم قوة ، لا ، بل أكبر قوة فى يد الإنسان . وهو قوة اليوم كما كان قوة بالأمس ، وسيكون قوة إلى الأبد . ولكننا فى حاجة إلى العلم الذى يؤدى إلى العمل ، العلم الذى يمكن تنفيذه والانتفاع به عملياً بتحويله إلى عمل ؛ فالعلم بلا عمل لا خير فيه ؛ مثَلُهُ مَثل شجرة بغير ثمر . هذا هو المقياس الذى يقاس به العلم ، ويُحكَمُ به على العلوم اليومَ .

ولا عجب ؛ فبعد أن كان العلم يُطْلَبُ للعلم ؛ حبًّا فى العلم ذاته، أصبحنا لا نفكر إلا فى الماديات ؛ نسأل عن مقدار ما يمكن أن يُستفادَ به عملياً فى الحياة من تعلُّم هذا العلم ، أو هذه المادة ، وأصبحت العلوم التى لا تؤدى إلى أكل الخبز ، أو الخبز والزبدة ، يُنظَر إليها نظرةَ تشكُّكٍ فى الإقبال عليها . ويكثر الإقبال على العلمِ أو المِهْنَةِ بقدر ما يمكن أن تُدِرَّه من المال فى أقصر وقت . هذا هو مقياس الإقبال على العلم الآن ، وهذا هو الرأى السائد بين الأكثرية من المربين والمتعلمين فى الأمم المتمدينة . فالعالم أصبح تجارياً ، والعلم كذلك أصبح يُنْظَر إليه بنسبة ما يستطيع صاحبه أن يكتسبه بوساطته من وظيفة أو ثروة أو مركز أو نفوذ . ويكاد هذا

العصر المادى يقضى — أو هو قد قضى بالفعل — على العالم الروحى ، وعلى تعلم العلم حباً فى العلم ، والاشتغال بالفن حباً فى الفن . وإننا لا نكره ، ولا ننادى بكره المادة أو احتقارها ، ولكن يؤلمنا أن تسيطر المادة على كل شىء ، حتى على أفكارنا وتعليمنا . ولا ننكر أن النجاح فى الحياة هو غاية الحياة ، وهو الفوز . وحبذا الأمر لو أمكننا أن ننجح النجاح المادى مع المحافظة على الروح العلمية الخالصة ، فنجمع بين عالم المادة وعالم الروح .

فالحياة اليوم نزاع بين القديم والجديد ، بين عالم الروح وعالم المادة ، وهو نزاعٌ لا نهاية له ، ولكنه ليس نزاعاً عِدائياً ، بل هو نزاع وُدّى تكميلى ، لا غرضَ منه سوى النجاح فى الحياة . ولكنْ ما النجاحُ الذى نبغيه ؟ وما الرقىّ الذى نريد الوصولَ إليه ؟ هو نجاح الشعب ورقيُّه روحيًّا ومادياً ، قوة ونفوذاً ، علماً وعملاً ، مبدأً وإنسانية .

ولكن هل يمكن الجمع بين الروح والمادة فى آن واحد ؟ ولِمَ لا ؟ إن الإنسان يستطيع أن يكون روحيًّا إلى حد ما ، ومادياً إلى حد ما ، بحيثُ لا تتغلب الروح على المادة ، ولا تسيطر المادة على الروح ؛ فيأخذ من كل منهما نصيبه ، ولا يعنى بناحية ويُهملُ الأخرى .

والنجاح هو الفوز بعد الجد والتعب ؛ التعب الجسمى والعقلى ، سواء أكان ذلك النجاح فى التأليف أو فى نسج القطن وغزله ، أو فى بيعه وشرائه ، أو فى صنع السيارات أو الطيارات ، أو فى كتابة الروايات . . . . الخ .

ومن الضروريات الأساسية للشخصية العمليةِ العلمُ بالشيء الذى تريد القيامَ به ، والرغبة فى النجاح فيه . ولا فائدة من العلم والرغبة إذا لم يُصحبَا بقوة تنفيذية ، معنوية أو حسية ، داخلية أو خارجية ، تعمل على التنفيذ .

فكما أن السيارة لا تستطيع السير إلا إذا كانت معدَّة للسير تمامَ الإعداد ، وكان بها المقدارُ الضروريُّ من (البترول) ، وكان الطريق مُعبَّداً صالحًا لسير السيارات ، كذلك الإنسان لا يمكنه أن يقوم بعمل عظيم إلا إذا كان هناك علم به ، ورغبة فيه ، وذكاء وحسن تقدير . ولكن أمثال هذا فقدوا صفة واحدة من أهم الصفات الضرورية للنجاح ، تلك هى قوة العزيمة والتنفيذ ، فلم ينجحوا فى أعمالهم ؛ لأنهم يميلون إلى كثرة النقد والتحليل ، والتشكك فى كل شيء حتى فى أنفسهم ، فيمنعهم ذلك الشك من رؤية فائدة الشيء ، فيترددون فى الإقدام ، ويرجعون إلى الوراء ، فتضيع منهم فرصة النجاح . والفرصة إذا أتت مرة فقد لا تعود مرة أخرى . فالعزيمة الصادقة تُعَد سرًّا عظيما من أسرار الشخصية العملية ، والنجاحِ فى العمل والحياة .

الفصل الرابع عشر

وسائل تقوية الشخصية العملية

هناك وسائل لتقوية الشخصية نذكر منها ما يأتى : —

(١) تحديد الغرض ومعرفة الطريق الموصل :

إن تحديد الغرض فى أى عمل من الأعمال مع معرفة السبيل الموصل إلى ذلك الغرض من أهم الوسائل المشجعة للإنسان على الاجتهاد فى العمل ، والسير فيه إلى النهاية من غير تردد ، وبخاصة إذا صحِبَ العمل إرادة قوية . وثقة به ، فمعرفة الغرض لها أثر كبير فى نفوسنا ، سواء أكان ذلك الغرض عادياً أم عظيماً . وإن نظرة واحدة إلى العالم تبين لنا أن لكل إنسان غرضًا يسعى ليدركه . مهما آختلفت هذه الأغراض ، ولكن المهم أن يكون الغرض محدداً سامياً .

كل له غرض يسعى ليدركه * والحر يجعل إدراك العلا غرضا

فالصياد يقف على شاطئ البحر وعصاه فى يده ، ينتظر بصبر كبير ، وملاحظة دائمة ؛ أملاً فى آصطياد السمك ، وما فيه من لذة ، وإرضاء للنفس . وسائق السيارة يسير فى طريقه مهما لاقى فيه من مطر أو ثلج أو ضباب أو غبار ؛ رغبة فى الوصول إلى مكان معين . وربَّان الماخرة

العظيمة ، فى البحر الخضم ، يقود ماخرته فى خط معين نحو ميناء أو موان معينة ، فى جهات خاصة . وهنا يتمثل تحديد الغرض ، ومعرفة الطريق الصالح ، والاستيثاق منه ، والثقة به ، والصبر والمثابرة ، للوصول إلى الغرض إن لم تحدث حوادث أو عوائق غير منتظرة . وإذا تمثلت هذه الأحوال العقلية فى الشخصية الإنسانية كانت من أعظم القوى العملية فى العالم .

فينبغى أن يكون للشخص غرض معين من العمل يسعى لإدراكه وتحقيقه بكل ما أوتى من عزيمة ، وقوة ، ومثابرة ، وثقة بالنفس ، حتى ينتفع بقواه العقلية ، ويقوم بواجبه فى الحياة العملية .

قال (ورْدِ سْوِرث)(١) شاعرُ الطبيعة من الإنكليز عن الأفراد الذين يسيرون فى الحياة نحو أغراض معينة : « إن اجتهادهم ناشئ عن وازع نفسى ، ينير الطريق أمامهم دائمًا ؛ فيقدِّرون جمال الطبيعة ، ويعملون بما يعلمون ، ويثابرون على التعلم . »

وبعد الوصول إلى الغرض الأول أو المرحلة الأولى من الحياة ، يمكن التفكير فى مرحلة أخرى وتحديدها ، والعملُ للوصول إليها ، وهكذا إلى نهاية الحياة .

قال عمر بن عبد العزيز : « إن لى نفسًا تواقة ، لم تزل تتوق إلى

---

(١) William Wordsworth (١٧٧٠ — ١٨٥٠) شاعر إنكليزى يتمثل فى شعره الإجادة فى وصف الطبيعة وحب الإنسانية .

الإمارة ، فلما نِلْتُها تاقت إلى الخلافة ، فلما نلتها تاقت إلى الجنة » .
وقيل : « ذو الهمة إن حُطَّ فنفسه تأبى إلاَّ علوًّا ، كالشعلة من النار يوجهها صاحبها ، وتأبى إلاّ ارتفاعًا » .

(٢) الرغبة فى العمل :

بعد تحديد الغرض من العمل يجب أن تكون هناك رغبة فيه ، وميل إليه ؛ لأن الرغبة :

ا — ترفع من شأن العمل الذى نقوم به .

ب — وتؤدى إلى الإقدام والنشاط (وهما القوة الطبعية للشخصية) ، وتكون كوازع نفسى أو باعث داخلى ، يستنهض همتنا ، ويستحثنا على العناية بالعمل .

حـ — وتمدنا بالقوة التنفيذية ، والإرادة الحقة الضرورية للوصول إلى أغراضنا . فالرغبة هى الدافع الطبعى للإنسان على العمل ، مهما لاقى فى سبيل ذلك العمل من مصاعب ومتاعب .

فالرغبة الحقـــة هى تلك القوة الروحية التى توحى إلى العقل القيام بالشىء بقوة لا تعرف الكلل ، ولا تقف دونها أية عقبة . فإذا وجدت الرغبةُ ثم وجدت الإرادة ، سهل الطريق مهما كان شاقًّا . والحاجة تفتق الحيــلة ؛ فإذا رغبت فى معرفة صناعة غزل القطن ونسجه كان الذهاب إلى معمل الغزل والنسج أحب الأشياء إليك ، وأخذت تشعر بأنه يجب أن تعرف كل شىء يتعلق بالقطن ، وأين يزرع ، وكيف يزرع ،

وكيف تتقى الآفات السماوية ، وما الأحوال الجوية التى يتطلبها ، وكيف يجنى ، وكيف يوضع فى الأكياس ، وكيف يخزن ، وكيف يرسل إلى السفن ، وكيف يحلج ، وكيف يغزل ، وكيف ينسج ؟

وإن رغبة (أبراهام لِنكُولْن) فى تحرير العبيد يوم أن ذهب مع بعض العمال إلى السوق ، فوجد جارية تُباع وتُشْرى ، فتألم لبيع الإنسانية وشرائها الألم كله ، فتمنى أنْ لو أُعطِىَ سلطة كى يضرب على الاسترقاق بيد من حديد . فأُعطِىَ السلطة بعد زهاء ثلاثين عاماً بانتخابه رئيساً لجمهورية الولايات المتحدة بأمريكا — تلك الرغبة جعلت من أوائل أعماله العمل على تحرير العبيد . وقد أدى ذلك إلى حرب داخلية ، ولكن النصر كان أخيراً فى جانب (لِنكُولْن) . وبذلك يُعتبر محرراً للعبيد ، مدافعاً عن الإنسانية المظلومة .

وإن الرغبة فى الإصلاح الاجتماعىّ هى التى جعلت (تشارلز ديكنز)[1] أكبرَ كاتب ، وأعظم مصلح اجتماعى بانجلترا فى القرن التاسعَ عشرَ . وإن الرغبة فى شراء أسهم قناة السويس بعد التحقق من فائدتها هى التى خلدت ذكرَى (دِزْرَائيلى) بين الإنكليز ، وجعلته يعمل بكل ما أوتى من قوة على تنفيذ الشراء ، مع شدة ما لقى من معارضة فى

(١) «Charles Dickens» ولد سنة ١٨١٢م . وتوفى سنة ١٨٧٠م . له منزلة كبيرة فى عالم الأدب الإنكليزى ، ومعظم رواياته حول الفقراء وبؤسهم ، وحول الإصلاح الاجتماعى . وتدين انجلترا له بكثير مما فيها اليوم من مدنية وإصلاح .

مجلس الأمة ، ومن معارضة مدير مصرف انجلترا . و إن الرغبة فى الأعمال (الميكانيكية) هى التى قادت (إديسون Edison) إلى أن يكون أكبر مخترع (ميكانيكى) فى القرن العشرين . والأمثلة كثيرة لا حصرَ لها .

فبغير الرغبة لا يستطيع الإنسان أن يقوم بعمل عظيم فى الحياة . فإذا أردت القيام بعمل من الأعمال سواء أكان ذلك العمل دينياً أم اجتماعياً ، أدبياً أم علمياً ، فنياً ، أم حربياً — فأوْجِد الرغبة الصادقة وهى كفيلة بالتنفيذ ، والنجاح فى ذلك العمل ، ما دامت تلك الرغبة مصحوبة بالإرادة القوية ، والعزيمة الثابتة .

والرغبة نوعان : مباشرة ، وغير مباشرة ؛ فالمؤلف الذى يؤلف كتاباً ، أو يكتب مقالة لصحيفة يومية يجب أن يكون تأليفُه وكتابتُه عن رغبة حقيقيةٍ إذا أراد أن يكون لعمله قيمة علمية أو أدبية . فالرغبة فى العمل هى الشرطُ الأساسى للتقدم ، والفوز فى هذا العمل . ولكن هل الرغبة وحدها تكفى للنجاح ؟ الحق أنها قد لا تكفى ، بل ينبغى أن يكون هناك بعضُ التشجيع الأدبى أو المادى ؛ لأن المؤلف أو الكاتب قد لا يكتب حبًا فى الكتابة فحسب ، بل قد يكتب ليعيش ، أو ليحصل على ضروريات الحياة أو كمالياتها . فهو ينتظر تشجيعاً ، ويجب أن يشجع بتقدير عمله ، وإعطائه ما يستحق . وبجانب التشجيع يجب أن يتحقق فيمن يريد النجاح الاستعداد للعمل ، ثم القدرة عليه .

وحينما توجد الرغبة المباشرة الطبيعية فى العمل ، ثم تصحب برغبة أخرى غير مباشرة كالربح المادى أو المركز الأدبى فإن النشاط يتضاعف ، والاجتهاد يستمر ، والعمل يزداد حسناً ، ودواعى النجاح تكوى أقوى وأشد ؛ لأن الرغبة متوافرة من كلتا الناحيتين : المباشرة وغير المباشرة .

أما المثل الأعلى ففى أن نعمل حباً فى العمل ، ونؤدىَ الواجب رغبةً فى أداء الواجب ، ونقومَ بالشىء من غير أن ننتظر جزاء ولا شكوراً . ولكن من حيث إن الإنسان إنسان فهو يفكر دائماً فى النتيجة ، وفيما يعود عليه من المنفعة والمكافأة على العمل . وهذه المكافأةُ نوع من التقدير يشجعه على العمل ، ويدفعه إلى أدائه كما ينبغى ، وكما يجب أن يكون . وكلما كانت المكافأة قيِّمةً زادت الرغبةُ فيها ، وكثر التلهفُ عليها ، والعملُ للوصول إليها . ومعظم الأعمال التى تقوم بها يومياً من قبيل الأعمال التى نُؤجَر عليها . ويجب أن نصرح بأنه لولا الأجور والمرتباتُ التى يتقاضاها العمالُ والموظفون ما قام أحد منهم بعمل .

ولا تكفى الرغبة غيرُ المباشرة — كالرغبة فى الأجر — للنجاح فى العمل ، والحصولِ على شخصية قوية فى ذلك العمل بالظهور والتبريز فيه ، بل لا بد أن تُصحَب برغبة طبعية ، وميل حقيقى إلى العمل ذاته ، وإلا كان مكروهاً لدى النفس ، تبغضه وتنتظر بفارغ الصبر التخلصَ منه ، كالعامل الذى لا يجد لذة فى عمله ، فيترقب انتهاء اليوم ومجىء

موعد الانصراف بكل مال . ونحن لا نبغى ذلك النوع من العمل الممقوت ، بل نبغى عملاً مصحوباً بلذة ورغبة وسرور؛ كى ننجح فيه ونجيدَه ، ونجدَ شوقاً إلى العودة إليه ، ونظهرَ فيه فوقاً ومهارةً . ومن الصعب أن ننبغَ فى عمل يكون غيرَ محبوب لدينا .

(٣) الشعور بالواجب : The sense of duty

من الوسائل التى تساعد على التنفيذ ، وعلى تقوية الشخصية العملية تلك الصفةُ الحية وهى الشعور بالواجب ، وإجابةُ نداء الضمير ؛ فالإنسان حينما يشعر بوازع نفسىّ بأنه يجب عليه أن يفعل كذا ، أو بأنه يجب عليه ألا يفعل كذا ، فإن هذا الشعورَ وحده يرمى إلى مغزى خاقىّ ، ويستدعى نشاطاً عقليا لفعل الشىء أو محاربته ؛ فهو بمثابة مؤثر داخلىّ يؤثر فيه تأثيراً قوياً . وإن إجابة هـذا المؤثرِ أو الباعثِ النفسى خيرُ كفيل لاستنهاض الهمة ، ومضاعفة العزيمة .

قال (إمَرْسُون)[1] : « إن الإنسان إذا آستحثه الواجبُ على أن يقوم بعملٍ ما قام به » . وليس الشعـور بالواجب ، أو إجابة الضمير

---

(١) Emerson : (١٨٠٣ — ١٨٨٢)م . من أكبر الكتاب الأمريكيين الذين لهم أثر واضح فى الأدب الأمريكى . له موضوعات قيمة ، ومقالات ثمينة مطبوعة ، فى كثير من الأمور الهامة .

أو الصوت الداخلي مقصوراً على طبقة دون أخرى ، ولا على جيل من الأجيال . ولا سِنٍّ من الأسنان .

وإذا تذكرنا أن الشعور بالواجب يتضمن التهذيب[١] النفسيّ ، وضبط النفس[٢] — أمكننا أن ندرك العلاقةَ بينَ الشخصية وبينَ الشعورِ بالواجب وإجابة الداعي النفسي ؛ ففي كل أمر من أمور الحياة نجد أن هدوء البال أو راحة الضمير والاطمئنان ، ثمرة من ثمرات الطاعة ، ومراعاة القوانين العلمية والفنية . فآثار (بَدْرَوِسْكي) و (كْرِزْلَر) من الموسيقيين المعاصرين ، و (تِنِسون)[٣] و (وِرْدسْوِرْث) من شعراء الإنكليز في القرن التاسع عشر ، وروحُهم وجاذبيتُهم نستطيع أن نشعر بها ونلاحظها في جمال الموسيقى وروعةِ الشعر ، وتأثير الفن ، وملاءمة قوانين العاطفة في الموسيقى والشعر ، والقوانين الفنية والتهذيبية . وبالشعور ، والجد ، وإرضاء الضمير ، وسلامة التفكير قد اكتسب الفنيون والأدباء مراكزهم الروحيةَ في عالم الموسيقى والأدب ، وفي مملكةِ النبوغ والعبقرية .

وحينما نبحث في تاريخ العظماء والأدباء والفنيين نجد أن ذوى الشخصياتِ الخالدةِ (في التاريخ) كانوا من ذوى الضمائر الحية الحساسةِ الذين يجيبون نداء الضمير ، ويُصغونَ إلى صوت الله ، فيسيرون بهديه . كانوا يحسون الواجب فيقومون به ، ويعملون على تنفيذه . وكثيراً

---

(١) Self-discipline (٢) Self-control

(٣) Tennyson (١٨٠٩ — ١٨٩٢ م.)

ما يكون الضميرُ والشعورُ بالواجب سبباً في إنقاذ الإنسان من صروف الحياة، ومن السقوط إلى الهاوية ، فلا يكون فريسةً للنفس الشريرة . فكل إنسان تفتح أمامه السبل المختلفة ، ولكن الروح الطاهرة لا تفكر إلا في الطرق الشريفة السامية ، أما الروح الدنيا فلا تنظر إلا إلى الطرق الدنيئة . و بين هذين الطريقين : المستقيم والمعوج ، تسير البقية وهي الأكثرية .

وإن الشعور بالواجب ، وحُبَّ الفضيلة والتمسك بالخير تكسب الشخص قوة وروعة ووقاراً ، وتبعث في نفسه الحياة ، وتقوده إلى الطريق السَّوِيّ ، وتعوده الصبر والمثابرة ، وتقوى الإرادة ، وهي التربة الصالحة التي فيها تنبت وتثمر الشخصية القوية الغنية. قال المرحوم سعد زغلول باشا ، وقد كان يمثل العظمة الإنسانية، والبطولة المصرية، والمثل الأعلى للشخصية :

« إنني رجل قد وضعت تحت تصرف أمتي عقلي وآختباري و بياني ، فإن آستفادت الأمة من عملي فذلك ما يجعلني سعيدًا ، و إلاّ فهو واجب قد أخذته على نفسي ، فأنا أقوم به لأريح ضميري » .

(٤) قوة الوازع الديني :

إننا في البحث عن الشخصية الإنسانية لا يمكننا أن ننسى الدين وأثرَه والوازع الدينيّ وقوتَه ، في التأثير في حياة الإنسان . فكثيراً ما يُواجَه

الإنسان بأزمات وشدائد لا قبلَ له بهـا ، ولولا الثقة بالله والإيمان به لجزع وتملكه اليأس ، وآستولت عليه الهموم من كل جانب . ولكن الوازع الديني هو الذى ينتشله من وهدة القنوط ، ويبعث الأمل فى نفسه ، ويحيِيه من يأسه . ويُنير الطريق أمامه بعد أن كان مظلمًا ، ويَهديه بعد الضلال ، ويُسليه عند الشدائد .

فالعنصر الوجدانى قوىٌّ فى الدين يستحث الشخص على أداء الواجب ، وإرضاء الضمير ، والصبر والمثابرة وكلها من الصفات الهامة فى الشخصية القوية . كما يوحى إليه فعل الخير ، وآجتناب الشر . ويدعوه إلى الحركة والعمل فى الحياة ، ويرشد عقله ووجدانه ، فيعمل العمل وكلُّه أمل وثقةٌ بالله . يؤدي واجبه ويترك النتيجة لخالقه . لا يفكر فى الماضى لأنه قد فات ، وينظر فى الحاضر ، ويترك المستقبل لله يفعل ما يشاء ، وبهذه الوسيلة يهدأ باله ، ويطمئن خاطره ، ويكون سعيداً فى الحياة .

ومن السهل أن تعتمد على الدينيين ، الذين يثقون بالله تمام الثقة ، ويفعلون ما يفعلون آبتغاء مرضاة الله . أما الرجل الذى لا دين له فلا ضميرَ له ، ولا يمكنُك أن تطمئنَّ إليه ، أو تثق به .

ومعظمُ المصلحين فى العالم كان الوازعُ لهم فى الإصلاح دينيًّا : أمثال الخلفاء الأربعة ، والأئمة الأربعة ، والشيخ محمد عبده من المسلمين ؛

و (هِلِّيل)[١] ، والربانى (عقيبة)[٢] من الإسرائيليين ؛ ومارتن لوثر[٣] ، وكارلَيْل[٤] ، ورَسْكن[٥] من المسيحيين . فالدين هو الذى أمدهم بثروة فى العقل ، وقوة فى الروح ، وعظمة فى الخلق ، فأثروا فى جيلهم ، وفى الأجيال التى أتت من بعدهم .

ولسنا اليوم فى حاجة إلى رجال يقومون بالواجب فحسب ، ولكننا فى حاجة إلى رجال يمكنهم أيضاً أن يحملوا غيرهم على القيام به . قال أحد الفلاسفة : « كن كما شاء القدرُ أن تكون ، مسيحياً أو مسلماً أو إسرائيلياً أو بوذياً . ولكن لا تنس أن لك ديناً تنزع إليه ، وعقيدة تحرِص عليها ، وواجباً نحو الله يجب أداؤه . »

الخلاصة :

وصفوة القول أننا فى الشخصية العملية نحتاج إلى ما يأتى :

(١) أن يكون لنا غرض معين فى الحياة ، نعمل للوصول إليه ،

---

(١) هليل : إمام من أئمة الإسرائيليين كالإمام أبى حنيفة لدى المسلمين .
(٢) عقيبة : أحد علماء اليهود المصلحين ، كان يثق بالله ثقة لاحد لها .
(٣) Martin Luther : (١٤٨٣ — ١٥٤٦)م. زعيم ألمانى ومصلح دينى
(٤) Carlyle : (١٧٩٥ — ١٨٨١) م. كاتب إنكليزى ، ومصلح اجتماعى ، وفيلسوف ومؤرخ ، وهو أول من اعترف من الإنكليز لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالبطولة والإخلاص ، فى كتابه (الأبطال). ومن أحسن كتبه « الثورة » الفرنسية »
(٥) Ruskin (١٨١٩ — ١٩٠٠) : كاتب إنكليزى ، ومصلح كبير ، ومحسن عظيم ، محب للطبيعة ، والفن الجميل .

بحيث نعتمد على أنفسنا ، ولا نكونُ صدًى لأصوات غيرِنا ؛ نكرر ما يقولون ، ونفعل ما يفعلون . ولا نتأثر بهؤلاء المترددين الذين لا يعرفون لهم غرضًا فى الحياة ، ولا يَثْبُتون على حال . ولا نشغل أنفسنا بكثير من المشروعات التى لا يمكن تنفيذها ، بل نكتفى بمشروع واحد ، فى وقت واحد ، ثم نعملُ على إجادته وتنفيذه ، ثم الابتداء بغيره وهكذا .

(٢) أن يكون لدينا حبٌّ شديد لأعمالنا ، ورغبة كبيرةٌ فيها ، ونعمل على ألاّ نفقِدَ تلك الرغبةَ فى العمل ، وعلى تهذيبها ومضاعفتها .

(٣) الشعور بالواجب والقيام به فى الحال على أكمل وجه ، من غيرِ تأخير عملِ اليومِ إلى الغد ، وبدونِ تفكير فيما سنحصل عليه من الجزاء عند القيام بالعمل ، بل نجعل الجزاء أمراً ثانويا ، ونؤدى العمل لا لشىء ، إلاّ لأنه يجب أن يؤدّى ، ونثق بغيرنا كما نثق بأنفسنا ، ولا نهزأ بالمثل العليا التى يتخذها سوانا .

(٤) قوة الوازع الدينى مع التمسك بالدين ، بحيث لا نفكر فى الماضى ، ونعمل على الانتفاع بالحاضر ، ونقوم بواجبنا كما ينبغى ، ونترك المستقبل لله . وبهذه الوسيلة نستريح وتستريح نفوسُنا ، ونكون سعداء فى حياتنا .

الفصل الخامس عشر

(ب) الشخصية الفكرية أو الخلقية

بعد أن تكلمنا عن الشخصية العملية نريد أن نتكلم عن الشخصية الفكرية أو الخلقية ؛ فالفكرُ هو مصدرُ الجاذبيةِ والقوة الشخصية للإنسان . وأقوال الإنسان وأفعاله تتوقف على ما يفكر فيه وما يشعرُ به في روحه الحقيقية . وتظهر أفكار الإنسان فيما يقوله وما يفعله . وما أعمالُنا في الغالب إلا مظاهرُ خارجية لأحوالنا الداخلية . ففي العمل الإنساني تبدو الشخصية العملية والشخصية الفكرية للإنسان ؛ فالرجل الفني مثلاً يعبر بالصوت أو الرسم أو الشكل أو اللون عن الأفكار التي يفكر فيها ، والمثل العليا التي يدركها بعقله .

ومن الخطأ أن نظنّ أن كلّ ما نحتاج إليه للمهارة في الموسيقا والحفر والرسم مثلاً هو معرفة القواعد الأساسية لهذه الفنون ؛ فالمعرفة وحدها لا تكفي ، بل لا بد من أن تُصحب بمقدار كبير من الروح الفنية والميل الفطريّ .

وبالتعلّم والتربية والتهذيب مع الميلِ والرغبةِ وتقليدِ الفنيين ، والتمرّن والمثابرةِ يمكن كسب المهارة الفنية .

ومن الواجب تربية الوجدان والفكر والخيال والإرادة وإحياؤها بالاتصال دائمًا بقادة الفكرِ فى الماضى والحاضر .

وإن الشخصية الفكرية هى التى تكسب العمل قوة جاذبية . وفى العمل تتمثل روح صاحبه وأفكاره وأخلاقه . وليست الشخصيةُ الفكريةُ مقصورة على طبقة دون أخرى ؛ فكما تكون بين الأغنياء تكون بين الفقراء ، ولكنها تختلف قوة وضعفًا من غير نظر إلى طبقة أو جنسية .

وقد وصف الشاعر الإنكليزىُّ « رُوبَرْت بْرَوْنِنج » شخصية امرأة فقيرة ، سعيدة قانعة تدعَى « بِيبا » ، فى قصيدته « بِيبَا تمرّ » . وفيها يصف هــذه الشخصية الفكرية ، والسعادة الفطرية ، والروح القوية فى « بِيبا » ؛ تلك المرأة العاملة الفقيرة التى تشتغل طولَ عامِها فى غزل الحرير بمصنع من مصانع (أسُولُو) لتكسب قوت يومها ، وتعيش معيشة الكفاف . وفى اليوم الذى تجعله للراحة ، تخرج « بيبا » والسعادة تبدو عليها ؛ تغنِّى أغنِيتها العذبةَ الجميلةَ ، التى تتمثل فيهــا تلك الروح السعيدة :

« نحن الآن فى فصل الربيع ، فى الصباح ، اللهُ فى ملكوته . والعالَمُ جميل » .

ففى تلك المرأة الفقيرة تتمثل تلك الروحُ القويةُ ، السعيدةُ فى فقرها ، السعيدة فى عملها المضنى ، الراضية بالكفاف ، الهانئة بحياتها .

وهى مثل للروح السامية ، والعظمة الفكرية ، والشخصية القوية ، تستطيع أن تؤثرَ فى غيرها ليرضى رضاها ، كما يؤثرُ عظماء الرجال وشجعانهم فى غيرهم من ناحية العظمة والشجاعة . وبينَ الفقراء من الفلاحين أمثلة كثيرة للرضا والقناعةِ فى الحياة .

والروح القوية قد تجدها هنا وهناك ممثلة فى كل مدرسة ، وفى كل وسط ، فى فرد هو الرئيس الذى يوحى إلى غيره بأفكاره وأخلاقه ، ويؤثر فى المتصلين به تأثيراً كبيراً . وإن وجود تلك الروح القوية فى رياسة أى عمل من الأعمال يكفى أن يسير هــذا العمل بكل هدوء ونجاح . وإذا آختفت تلك الشخصية وهذه الروحُ من الرياسة آبتدأ سوء التفاهم ، وكثرت المنازعات والمشاجرات والتحزبات والمؤامرات ، فيختل نظام العمل ، ويتحقق الفشل .

فالرئيس قد يكون ضخم المرتب ، قليل العمل ، فنظن أنه لا يستحقه لأنه لا يتكافأ مع العمل الذى يقوم به . ولكننا نقول : إذا كان الرئيسُ قوىّ الشخصية كان وجودُه وحده كافيًا لإيجادِ روح فى ذلك العمل ، ووضع نظام أو مقياس يسير عليــه الجميع . ومن أجل هذه الشخصية ، وتلك الروح القوية ، والأخلاق القوية ، يستحق ذلك المرتب الضخم ، لا من أجل مقدار ما يقوم به من العمل .

والشخصية القوية بأفكارها وأخلاقها لا تستدعى جلبة ولا ضوضاء ، ولا تدعو إلى طبل ولا زمر . وإذا بحثنا وجدنا أن القوى العظيمة فى

الطبيعة هى تلك القوى الهادئة التى تعمل ، وتعمل كثيراً ، ولا تسمع لها طنيناً . ومن السهل وجودُ الهدوء والرزانة حتى فى الحياة المضطربة .

الفرق بين الشخصيتين العملية والفكرية

بعد أن تكلمنا عن الشخصيتين العملية والفكرية نريد أن نذكر الفرق بينهما ، فنقول : إن الأولى توجِّه قوتها نحو عمل الأشياء العظيمة ، فى حين أن الثانية تصرَف قوتُها فى أن يكون الإنسان قويًّا فى روحه ، عظيماً فى خلقه . وإن العالم الذى نراه بما فيه من مدنية وحضارة وتقدم فى العلم والاختراع ، مدين لتلك الشخصيات القوية التى فكرتْ وتخيلتْ وجربتْ ونفذتْ .

وقد يظن أنه لا أثر للشعر والفلسفة والفنون الجميلة فى الأعمال الهامةِ العظيمةِ فى الحياةِ . والحق أن لها أثراً كبيراً فى تلك الأعمال ؛ لأنها لا تزود الشخص النشيط العامل بالمثُل العليا فحسب ، ولكنهــا تبث فيه أيضًا القوة والنشاط والروح الضرورية لتنفيذها والوصول إليها .

الصفات التى يجب أن تتحقق فى الشخصية الفكرية أو الخلقية

هناك صفات تعد عناصر للشخصية الفكرية الصامتة ، تلك هى :

(١) الهدوء العقلى .
(٢) الرضا بالحياة مع العمل .
(٣) حسن الطبع .

ولنشرح كلا منها فنقول :

(١) الهدوء العقلي :

يراد بالهدوء العقلى أطمئنان البال ، وهدوء الخاطر ، وعدمُ التفكير فى أشياء تؤدى إلى القلق أو الاضطراب النفسى . وهذا الهدوء قد يكون فطرياً ناشئاً عن طبيعة المزاج ، وقد يكتسب بالتربية والتهذيب وضبط النفس ، وضبط العواطف ، والوجدانات التى تتأثر بالظروف الخارجية للحياة . والخوف أكبر عدو مزعج للعقل ، وأقوى سبب فى الاضطراب العقلى . وما دام العقل متأثراً بالمخاوف فالهدوء محال .

وقد ينشأ الاضطراب عن الغَـيرة أو الحقد ، أو عن طلب المحال والتعلقِ به . نعم يجب أن تكون آمالنا كبيرة ، ولكن يجب أيضاً أن يكونَ من الممكن تنفيذها[١] . وقد ينشأ الاضطرابُ العقليُّ عن كثرة الرغبات التى لا نهاية لها ؛ فالإنسان منا يريد أن يذوقَ الحياةَ ، ويتمتعَ بما فيها من لذات فى لحظة واحدة ، من غير تفكير فى ترك شىء للتمتع به فى المستقبل . يريد أن يقطفَ الحياةَ كما يقطف عنقودَ العنب ، وليته

(١) قد صرح (وليام هازلت) : William Hazlitt (١٧٧٨ — ١٨٣٠م .) الـكاتب الإنكليزى المعروف بقوة النقد ، وقد حضرته الوفاة ، بأنه عاش سعيداً فى نفسه . ولكن القارئ لتاريخ حياته يجدها مملوءة بالأحزان ؛ فقد كان يتأثر ويهيج ويثور لأقل شىء ؛ فكانت حياته تتغير تغير الجو فى البلاد الإنكليزية ؛ لا يثبت فيها الجو على حال . وكان يعرف أنه مكروه لدى معاشريه ، ولا يدرى لذلك سبباً . أما السبب فقد كان سرعة تأثره ، وعجزه عن ضبط نفسه ، فنفر منه عارفوه ، مع أنه كان كريما مخلصا أديبا ذكيا .

ينتفع بما يقطف ؛ فقد يضغط على العنقود لشدة حرصه فيتلفه ، ويبقى جائعاً كما كان من قبل . وإن كثرة الرغبات لا تترك أثراً للمسرات القلبية ، وكثيراً ما تؤدى إلى التألم والحرمان ؛ فالحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاّه قفاه ، كما قال بديع الزمان الهمذانى[1] .

(٢) الرضا بالحياة مع العمل :

وليس معنى الرضا أن يقبل الإنسان كل شىء كما هو ، ولو كان خطأ ؛ فهذا يُعد ضعفاً وجبناً ، بل معناه أن يكون الإنسان حياً ، يفعل ما يجب أن يفعل ، ويرضى بما يجب الرضا به ، ويحتج على ما ينبغى الاحتجاج عليه ، ويرد على ما يقتضى الرد . هذا هو الرضا ، وهو معنى الحياة . وفى اللحظة التى ينقطع فيها الرد أو الاحتجاج تنقطع الحياة ، ويتلوها الموت والفناء . أما الرضا المصحوبُ بالكسل والخمول فليس برضا ، وإنما هو الموت فى الحياة . فالرضا بالحياة يجب أن يُصْحَبَ بالجد والعمل والمثابرة مع الاقتناع بما يجب الاقتناعُ به . وفى البيئة والحياة أمورٌ برهنت التجارب على خطئها ، فهذه يجب ألا نقتنعَ بها ، بل نعمل بكل قوة على علاجها وإصلاحها ، وإلا وقف العالم فى مكانه ، وتأخر الفكر والحضارة .

---

(١) ولد سنة ٣٥٨ هـ . وتوفى سنة ٣٩٨ هـ . وهو كاتب من كتاب العربية فى القرن الرابع الهجرى . ونثره خير من شعره . وهو أول من اشتهر بكتابة المقامات ، وله ولع كبير بالمحسنات والزخرفة اللفظية والبديعية .

وينبغى أن نقنع القناعة التى بها تستريح نفوسنا ، ونكون سعداء ، بحيث نرضى من جهة ، ونعمل للرقى والكمال من جهة أخرى . وتتمثل تلك الروح الراضية « فى الروح العظيمة ، بالكوخ الصغير » .

ومن الخطأ أن ينتظر الإنسان المحال ، أو يطلبَ أشياء ينبغى ألا يجابَ إليها . ومن العيوب التى كانت تؤخذ على (جيته)[١] الفيلسوف الألمانى أنه كان يعارض ولا يقنع حتى بالأمور التى لا مفرّ منها ، وليس منها بد . وذلك ناشئ عن العجز عن ضبط النفس ، وهو نقص خُلقى شائع . وما الفائدة من طلب المحال ؟ إن عدم الرضا لن يقربنا من تحقيق رغباتنا ؛ لأنها رغبات يستحيل تنفيذها ، ولا يمكن الوصولُ إليها . ولو حُدِّدتِ الآمالُ والأحلامُ ، ثم عملنا بجد وطيب خاطر ، ونفس مستريحة ، فمن الممكن إدراك هذه الآمال ، وتحقيق تلك الأحلام ، بالوصول إليها أو إلى ما يقرب منها .

فليس من الحكمة أن نُحْزِن أنفسَنا ، ونحْرِق قلوبنا ، فى سبيل أحلام لا يمكن تحقيقها . فنحن لا نريد قناعة تُصحَب بالضعف أو الإهمال ، كما لا نريد جشعًا يؤدى إلى القلق الفكرى ، والاضطراب العقلى ، والألم النفسى . ولكننا نريد قناعة تؤدى إلى السعادة ، وتستدعى العمل ، وتتطلب المثابرةَ فى سبيل الرقى المستمر ، مع راحة

---

(١) Goethe (١٧٤٩ — ١٨٣٢م.) : هو شاعر وفيلسوف ألمانى ، له شهرة ذائعة بين فلاسفة العالم ، وعلماء الطبيعة .

الضمير ، وهدوء البال . وبهذه الوسيلة تكون حياتنا هادئة سعيدة مملوءة بالثقة والأمل . وما الحياة إلا حُزْمَةٌ كبيرة مكونة من عيدان صغيرة . وللوصول إلى هذه الحُزمَة الكبيرة يجب أن نحصل أولا على العيدان الصغيرة .

قال « اللورد أُف بَرِى » فى كتابه : « مسرات الحياة » : « كل من يسعى للنجاح فى الحياة يناله ، ولكنه لا يصل إلى كل ما يتمناه لنفسه. إن الفشلَ الشريفَ خير من الفوز الدنىء . ولعمرى إن الإنسان إذا حاول وفشل ، لا يخسر شيئًا مطلقًا إلا إذا تولاه اليأس ؛ ودخل فى قلبه القُنوط . وإذا لم نحصل على مرادنا مرة فــلا يدعو ذلك إلى قطع الآمال » .

وقال « مارك توين » : « حافظ على آمالك ، فإنها إذا ذهبت تركتك هائمًا بغير حياة . »

وقال « بيكون » : من يسعَ و يتيقظْ يبصرْ الحظ ؛ فإنه (أى الحظ) ــ و إن كان ضريرًا لا يبصر ــ لن يفوتنا ، ما دامت تبصره عُيونُنا .

(٣) البشاشة ورحب الصدر :

إن للبشاشة أثرًا كبيرًا فى الشخصية الفكرية أو الخلقية ، وتنشأ عن ضبط النفس ، وحسن التفكير ، وسلامة الأعصاب ، وآعتدال الصحة ، والنجاح فى الحياة ، ورقى البيئة . أما سوء الطبع المصحوب بضيق

الصدر فينشأ عن ظلام الفكر ، أو شدة تأثر الأعصاب ، أو ضعف الصحة ، أو الفشل فى العمل ، أو تأخر البيئة ، أو عنها كلها مجتمعة .

ومن السهل معالجة ذلك النقص بالنصح تارة ، ومقاومة النفس تارة أخرى ، والاتصال كثيراً بالمثل العليا فى الأخلاق ، والعمل دائماً على مراعاة شعور الناس ، والمحافظة على روح الصداقة مع الأصدقاء(١) .

ومن مظاهر قوة الشخصية الفكرية أن تتغلب على عاطفتك، وتشارك الناس فى سرورهم لنجاحهم فى أعمالهم ، مهما كنت فى دياجير الشقاء ، وفى غياهب البؤس ، متمثلاً بذلك الرجل الضال الشريد فى العالم ؛ تطرده تلك البلدة فينتقل إلى أخرى ، وهو يغنّى تلك الأغنية :

« أيتها الحياة ! ما أجملك ! وما أجمل الليل والنهار ، والشمس والقمر ! هواء عليل ، وسماء صافية ، وحياة عذبة . ما أحلى الحياة ! الحياة هنا إلى الأبد ! »

وهل هناك من هو أسعد نفساً ، وأقوى روحاً من ذلك الشريد الطريد ، الذى يبتسم للحياة البائسة ، وينظر إليها تلك النظرة السارة ؟

---

(١) وقد قيل عن (السير وولتر سكوت) ، الكاتب الأسكتلندى العظيم : إن شخصيته كانت تتمثل فى حسن طباعه ، ومتانة أخلاقه ، وشدة صبره ، والنظر إلى كل إنسان يعرفه أو يتصل به نظرة كلها عطف ، نظرة الأب الشفيق إلى الابن البار ، نظرة تدل على تقديره للانسانية ، وحبه لغيره من بنى الإنسان .

الفصل السادس عشر

مضعفات الشخصية

هناك أشياء كثيرةٌ تؤدى إلى إضعافِ الشخصية ، وتعد عائقاً لها ، منها :

(١) اتكال الشخص على غيره :

وذلك بتقليد غيره فى أقواله وأفعاله ، وحركاته وسكناته وتفكيره ، بحيث يصير الإنسانُ صورةً مقلَّدةً لا شخصيةَ لها ، ولكنها متأثرة بشخصية غيرها .

(٢) التأثر بالعادات والتقاليد :

فالرأى العام كثيراً ما يكون مصيباً ، وكثيراً ما يكون حسنًا ، ولا نستطيع أن ننكرَ ذلك . ولكننا نريد أن يكونَ الرأىُ العامُّ بمثابة القائد المرشد ، لا بمثابة القائدِ المستبد ، الذى يتحكم فى الأفراد ، فيُضِلهم أحيانًا ، ويقودهم إلى حيث يبتعدون عن الحياة ، وينفصلون عن حقائقها ، وينقطعون عن العالم انقطاع عرباتِ القطارِ عن القاطرة الأمامية التى بها يسيرُ القطارُ ، ويتصلون بعالم آخَرَ هو عالمُ الموتِ ، أو عالم الحقائق الميتة التى فقدت كلَّ حياة .

فنحن نريد احترامَ العادات، ونطالب باحترام التقاليد، وتعليم الأطفالِ احترامَها، وتعويدهم تقديسَ الرأيِ العام. ولكننا نريد مع ذلك أن نعودَهم التفكيرَ بأنفسهم، والاستقلال بالفكر؛ حتى لا يكونوا عبيداً لغيرهم فى آرائهم، كما نعودهم الخضوعَ للحق، والانقيادَ لما تمليه عليهم عقولُهم وضمائرُهم؛ كى يحافظوا على شخصياتهم. فالشخصية لا يمكنُ أن تنموَ فى قفص من حديد لا يجد فيه الطفل حريةً فى الرأى، وحرية فى التفكير.

وفى حدود العادات والتقاليد يجب على كل منا أن يكوّن له رأياً، وأن يقبل من الآراء ما أثبتته التجربةُ والبراهينُ، ويتمسك بالصواب، ويترك ما يتبين خطؤُه. ومن المحال أن نضلَّ الطريقَ المستقيمَ إذا أُسِّسَ الرأى العام على الحكمة، والعقل، والصواب، والمصلحة العامة.

أما العاداتُ والتقاليدُ الدينيةُ المتصلةُ بالدين القويم فيجب أن تُحْتَرَمَ وتُؤخَذ كما هى؛ لأنها تتفق مع العقل والمنطق، ولو أننا قد لا نصل إلى إدراك الحقيقة أو السر أحياناً؛ لأن التفكيرَ الإنسانىَّ محدودٌ، ولو فكرنا فى الأمورِ الدينيةِ لوجدنا أن لكل أمرٍ حكمة أو سرًّا قد لا ندركه. فتهذيبُ الشخصية لا يتنافى مطلقاً مع مراعاةِ الروح والتقاليد الدينية.

(٣) **ومن الأشياء التى تتحكم فى الشخصية** التمسكُ بالأفكار التى يقرؤها الإنسانُ فى الكتب العادية. وجدير بالإنسانِ أن يقرأ، وأن يقرأ كثيراً، ثم يحكِّمَ عقلَه، ويأخذَ الحسنَ، ثم يتركَ القبيحَ. ويجب

ألا يعتقد كلّ ما يقرأ ، ولا يصدق كلّ ما يقال، كما يعتقد و يصدق كثيرون من القراء . إننا لا نريد ذلك الكسلَ العقليّ ، والخمولَ الفكريّ ، بل نريد أن نفكر فيما نقرأ ، ونستعمل عقولنا ، فلا نتقبل كلّ بضاعةٍ تعرض علينا حتى ولو كانت مزجاة . ولسنا بذلك نقلل من قيمة القراءة والاطلاع ، أو من قيمة من يقرءون و يطلعون ، ولكنا نود أن يكون لكل منهم شخصيةٌ مستقلة فى التفكير ، فيفكر فى كل شىء ، وفى كل كتاب يقرؤه ؛ فنحن لا نريد القراءة فحسبُ ، ولكننا نريد أن نقرأ ، ونفكر فيما نقرأ ، بحيث يكون تفكيرنا أكثرَ من قراءتنا ؛ كى نصل إلى حديث جديد ، أو رأى طريفٍ جيد ، وبحيث نزن كلّ فكرة فتكثر الآراءُ السديدةُ ، والأفكار الناضجةُ . و بهذه الوسيلة تظهر شخصياتُنا الحقيقية ، وتبدو أنفسنا كما هى .

ومما قاله (جَنْ جَاك رُوسُو(١)) عن نفسه : « إننى لا أشبه أحداً آخر عرفته . ومع ذلك فإننى إذا لم أكن أحسنَ ، فإنى مختلفٌ عن غيرى على الأقل » . فأساس الشخصية هو فى وجود شىء خاص فى كل منا يميزه من غيره . وقد يخجل الإنسان أو يعتذر إذا وجد نفسه

(١) Jean Jacques Rousseau (١٧١٢ — ١٧٧٨م.)هومرب من أكبر فلاسفة التربية وعلماء الاجتماع فى القرن الثامن عشر . ويعد كتابه (إميل) أكبر ذخيرة فى التربية ، يرجع إليها المربون فى كثير من الأمور حتى يومنا هذا . وهو من الكتب التى ترجمت إلى معظم اللغات الحية ، وعسى أن يترجم إلى اللغة العربية ترجمة دقيقة . ويمكنك أن تطلع على آراء (روسو) فى كتب تاريخ التربية إذا شئت .

يختلف عن غيره . وليس فى حاجة إلى الخجل أو الاعتذار ، ولكنه فى حاجة إلى الشجاعة فى أن يرى نفسه مختلفاً عن غيره ، ويرى غيره يختلف عنه فى أمور هى أساسُ الشخصية ، ومظهر من مظاهرِ النفسِ الحقيقية . وفى تربية الشخصية يجب أن نعودَ الطفلَ أن يظهر بحقيقته كما هو ، من غير رياء أو تظاهر أو تغيير للحقائق ، ونفهمه حينما يكبر أن العلم يتطلب هدوءاً وتواضعاً ، وإخلاصاً ، ومعرفة للنفس ، وآحتراماً لها ، آحتراماً بعيداً عن العجب والكبر والكذب ، آحتراماً مبنيًّا على أداء الواجب على الوجه الأكمل . وإذا آعتاد الشخص آحترامَ نفسه آحتراماً بعيداً عن العجب فإن حب الظهور يضعف تدريجيًّا ، ويصبح آحترام النفس مع التحلى بالكمال كطبيعة ثانية للشخص .

وإذا قلنا باُحترام النفس فمعنى ذلك أن نعطىَ أنفسنا حقَّها ، وتقدرَها حق قدرها . ولكن ليس معنى ذلك أن نفكر فى أنفسنا أكثرَ مما ينبغى ، أو أن نرفعها فوق منزلتها ، أو أن نعطيها أكثر مما تستحق .

(٤) **ومن مضعفات الشخصية تحكم ميول الشخص فيه ،** وعجزه عن ضبط تلك الميول ، فيثور ويهيج ، ويبتدئ اليوم عملاً ، ويتركه غداً . ويفكر اليوم فى مشروع ، وغداً فى آخر . ومثل هذا الشخص عادة نشيط ، وليس بكسلان ولا ضعيف الإرادة ، ولكنه فى حاجة إلى التربية ؛ تربية الميول ، وضبط آنفعالاته ، وتوجيه همته نحو مشروع من المشروعات ، وعدم تركه إلا بعد الانتهاء منه .

الفصل السابع عشر

الصفات الكمالية للشخصية

الآن وقد تكلمنا عن ماهية الشخصية ، وتعريفها ، والاختلاف فيها ، والعناصرِ الأساسيةِ التى تبنى عليها ، وأنواعها ، ووسائل تقوية الشخصية العملية ، والصفات التى يجب أن تتحقق فى الشخصية الفكرية الخلقية ، نريد أن نذكرَ الصفاتِ الكمالية للشخصية على العموم ، وهى كثيرة ، منها .

(١) الذاتية أو الاستقلال الذاتى[١] .

(٢) الإخلاص[٢] .

(٣) الحماسة أو شدة الغيرة والإقدام[٣] .

(٤) قوة الوجدان أو الإحساس[٤] . ولنتكلم عن كل منها فنقول :

(١) الذاتية أو الاستقلال الذاتى

الذاتية هى أهم صفة من الصفات الكمالية للشخصية . وقد عُرِّفت بأنها : مجموعة الصفات العقلية الخاصة بالفرد . وتختلف هــذه المجموعة باختلاف الأفراد ؛ فقد تكون كبيرة لدى بعض الأشخاص ، صغيرة لدى بعضهم الآخر .

---

(١) Individuality (٢) Sincerity

(٣) Enthusiasm (٤) Sensibility

وتختلف الشخصية[١] عن الذاتية فى أن الأولى أعمُّ من الثانية ؛ لأن الشخصية تشمل الصفاتِ العقليةَ والعمليةَ والجسمية والروحيةَ أو الخلقيةَ الخاصةَ بالفرد ، بخلاف الذاتية فإنها عنصر هام من عناصر الشخصية يتعلق بمجموعة الصفات العقلية للفرد ليس غير .

وإننا نشعر بالملكية الذاتية فى نسبة الشىء إلى الفرد أو الأفراد ، فنقول : هذا كتابى ، وذاك كتابه ، وهذا كتابكم ، وذلك مستشفى الجمعية الخيرية ، وتلك مدرسة الطائفة الإسرائيلية ، وهذه جماعة الشبان المسلمين أو المسيحيين ، وهكذا . ولكل إنسان طريقة خاصة وأفكار خاصة فى الحياة ، يمتاز بها من غيره .

ومن الأسباب التى أدت إلى فشل كثيرين فى الحياة أنهم لايستقلون بأنفسهم فى تفكيرهم بل يعتمدون على غيرهم ، ويقلدونهم فى أقوالهم وأفعالهم وآرائهم ، ويتشبهون بهم فى كل شىء ، فيفقدون استقلالهم الذاتى ، وتندمج شخصيتهم فى شخصية سواهم حتى تضعف .

فينبغى أن يبذل الإنسانُ جهدَه فى أن يعتمد على نفسه ، ويستقل فى تفكيره بطريقته الخاصةِ ؛ فالأشياء التي يصل إليها بفكره الخاص ، خير من الأشياء التى يقلد فيها غيره . والأمر الذى يقوم به بنفسه يمكنه أن يقوم به خير قيام .

---

(١) Personality

أما العوامل التى تمتاز بها الذاتية فهى :

(١) الصراحة وعدم الالتواء فى الفكر والقول والعمل :

يراد بالصراحة إظهار ما فى النفس بغير التواء أو اعوجاج أو لف بعيد[١] بحيث تكون أفكار الإنسان ظاهرة ، وأقواله واضحة ، وأعماله تتفق مع أقواله ، يقول ما يعتقد ، و يعتقد ما يقول ، ولا يلقى القول على عواهنه ، ولا يتردد فيما يقول . لا يثبت اليوم شيئاً ثم ينفيه غداً . إذا تكلم كان كلامه عن عقيدة ، يدل على سداد رأى ، وحسن تفكير ، وتقدير للنتائج . قال المرحوم سعد زغلول باشا : « قد عاهدت الله منذ نشأت على أن أصرح بما فى ضميرى ، وهذه هى لذتى فى حياتى » .

وإن كثرة التردد فى الرأى والقول والفعل تقلل من شخصية الإنسان ومنزلته ، وكثيراً ما تعوقه عن النجاح فى الحياة العملية والاجتماعية ؛ كأن يطالبَهُ رئيسه بإبداء رأيه فى شأن من الشئون ، فيختلط عليه الأمر ، ويضطربُ عقلُه ، وتضطربُ أفكاره ، وتكون غامضةً . وهو فى هذا الموقف لا يحتاج إلى أكثر من أن يفكر فى الأمر مليًّا ، ثم يبدى رأيه بعبارةٍ موجزة واضحةٍ ، قويةٍ ، مؤثرة ، ولا يخرج عن الموضوع .

---

(١) قال صاحب المصباح: صرح الشىء بالضم صراحة : خلص من تعلقات غيره فهو صريح . وكل خالص صريح ، ومنه القول الصريح وهو الذى لا يفتقر إلى إضمار أو تأويل . . وقال صاحب القاموس : التصريح خلاف التعريض ، وتبيين الأمر .

والناس عادة يحبون أن يصغوا إلى ما نقول ، وأن يشاركونا في شعورنا إذا كان ما نقول يستحق الإصغاء ؛ كأن تكونَ الأفكارُ سديدةً ، والعبارة واضحةً خاليةً من الخطأ . ويكون الأسلوب مؤثراً جذاباً . أما إذا كانت الأفكارُ معدومةً أو عقيمةً ، أو ملتويةً معوجةً ، أو فِجّة غير ناضجة . ثم عبر عنها بلغة غامضةٍ مملوءة بالأخطاء ، أو بعبارة ركيكة معقدة ، فلا عجب إذا نفر السامعون ، وقل إصغاؤهم وآنتباهُهُم ، وأخذوا فى التلهى عن المتكلم .

ولا تَلُمْهم إذا آنصرفوا عنــه حرصًا على وقتهم . وإذا مكثوا ولم ينصرفوا فما ذلك إلاَّ محافظة على آداب الاستماع . ومن السهل آكتساب قلوب المستمعين بالأفكار الصائبة ، واللغة السلسةِ السهلة الصافية ، الخالية من الغموض والتعقيد والالتواء ، وبالأسلوب الجذاب والإلقاء الحسن .

أخبرَ بعض الأدباء قال[1] : ما رأيت رجلاً عُرِض عليه الموتُ فلم يكترثْ له إلاَّ تميمَ بنَ جَميلٍ الخارجيَّ . كان قد خرج على المعتصِم ورأيتُه قد جيء به أسيراً . فدخل عليه فى يوم موكِبٍ وقد جلس المعتصمُ للناس مجلسًا عامًّا ، ودعا بالسيف والنِّطع[2] . فلما مَثَلَ بين يديه نظر إليه المعتصم ، فأعجبه شكلُه وقَدُّه ومِشيتُه إلى الموتِ غيرَ مكترثٍ له .

(١) من ثمرات الأوراق للحموى (٢) بساط من جلد

فأطالَ الفكرة فيه ، ثم آستنطقه لينظر فى عقله و بلاغتِه ، فقال : يا تميمُ إن كان لك عذر فأْتِ به .

فقال : أمَّا إذ أذِنَ أميرُ المؤمنين (جبَر اللهُ به صدعَ[1] الدين ، ولَمَّ شعَثَ[2] المسلمين . وأخمد شِهابَ الباطلِ . وأنارَ سُبُلَ الحق) ـ فالذنوب يا أميرَ المؤمنين تُخرِس الألسنة ، وتَصدَع الأفئدة . وايْمُ اللهِ[3] قد عظُمت الجريرة ، وآنقطعت الحُجة ، وساء الظن ، ولم يبق إلاَّ العفوُ أو الانتقامُ . وأميرُ المؤمنين أقربُ إلى العفوِ وهو أَلْيَقُ شِيَمِهِ الطاهرة . ثم أنشد :

أرَى الموتَ بين السيفِ والنِّطع كامنًا
يُلاحِظنى من حيثُ ما أتلفَّتُ
وأكبرُ ظنِّى أنك اليومَ قاتِلِى
وأىُّ آمرئ مما قضَى اللهُ يُفلِتُ
ومن ذا الذى يأتى بعُذرٍ وحُجةٍ
وسيفُ المنايا بين عينيهِ مُصلَتُ[4]
وما جَزعِى من أن أموتَ وإننى
لَأَعلمُ أن الموتَ شىء موَقَّتُ

---

(١) الشق (٢) جمع أمرهم (٣) صيغة قسم (٤) بارز

ولكنَّ خلفِي صِبيةً قد تركتُهمْ
وأكبادُهمْ من حسرةٍ تتفتَّتُ

كأنِّى أراهمْ حين أُنْعَى إليهم
وقد لطموا تلك الخدودَ وصوّتوا

فإن عشتُ عاشوا سالمين بغبطة
أذودُ[١] الردَى عنهمْ وإن مُتُّ مُوِّتوا

قال فبكى المعتصمُ وقال : إن من البيان لسحراً . ثم قال : كاد والله يا تميمُ أن يسبق السيفُ العَذَل ، وقد وهبتكَ للهِ ولصِبْيَتِك . وأعطاه خمسين ألف درهم .

(٢) حب المسئولية وعدم الفرار منها :

إن حبَّ المسئولية وعدم الفرار منها ينشئان عن الثقة بالنفس . وقد لوحظ أن الأفرادَ الأمناء الذين يستحقون أن يتحملوا المسئولية يفرون منها . وأن الأفراد الذين لا يستحقون الثقة بهم يحبون تحملها . وهذا خطأ فى كلتا الحالتين . وإننا الآن لا نتكلم عن هؤلاء الذين يزجون بأنفسهم فى أشياء ليسوا أهلاً لها ، ويقفون فى مواقفَ غيرُهم أولي بها ، بل نتكلم عن أولئك الذين منّ الله عليهم بالمقدرة الطبعية ،

(١) أدفع الهلاك

والكفاية فى القدرة على القيام بالعمل ، ولكنهم يميلون إلى الفرار والتباعد عن هذا العمل .

وهذا الفرارُ فى كثير من الأحوال دليل على ضعف الذاتية أو ضعف الاستقلال الذاتى ، ودليل على الخوف أيضاً ؛ الخوف من النتائج والظروفِ والخوف من غيرهم ، فهم ضحايا الخوف ، الخوف حتى من أنفسهم .

وأنت تعلم أن تحمّل المسئولية قد يعرض الإنسان للخطر . ولكن بماذا تجتذبُ قلوب الناس ؟ إنك تجتذبهم بالإقدام ، وعدم الفرار من المسئولية ، والتعرض للأخطار .

قد تفر من الشيء خوفاً من نقد الناقدين ، وحسد الحاسدين ، ومنافسة المنافسين ، ولكن ماذا يهمك من هؤلاء ؟ ولِمَ تعبأ بهم ما دمت مخلصاً لله ، مُرْضِياً ضميرَك ؟ إن من المحال أن ترضىَ الناسَ جميعاً ؛ فإرضاء النـــاس غاية لا تدرك . ولن تعدم أن تجد بجانب هؤلاء الحاقدين ، المرضَى فى نفوسهم ، كثيرين من المخلصين الذين يقدرون من يستحق التقديرَ ، ويثقون بمن يستحق الثقةَ ، فيعترفون بفضلك ، ويقرون بقدرتك . وهذا أكبر مشجع أدبى للإقدام ، وعدم الخوف من المسئولية .

فالمسئولية تجعل القوىَّ أقوى ، وتُصَيِّرُ الضعيف أضعف ، فينبغى ألا تعطى إلا من يستحقها .

(٣) الصبر :

الصبر فضيلة تمكن العقلَ من القيام بوظائفه العقلية فى هدوء وثبات ، وتنقذه من الاضطراب عند الشدائد ، وتجعل الإنسانَ هادئًا ، رزينًا ، بعيداً عن الطيش والاندفاع فى الأشياء من غير تفكير فى العواقب .

وقد سأل (وليام بِتْ[١]) ذات مرة : ما أهمُّ صفةٍ يجب أن يتصفَ بها رئيسُ الوزارة ؟ فأجاب أحد الحاضرين : « الفصاحةُ » ، وقال آخر : « العلمُ » ، وقال ثالث : « الجدُّ فى العمل » . فقال (وليام بِتْ) « إن أهمّ صفة يجب أن يتصف بها رئيس الوزارة هى الصبر » . والحقُّ أن الصبر ضرورى لا للرؤساء فحسب ، ولكن للمرءوسين العاديين أيضًا .

وقد كان خالد بنُ الوليد يسير فى صفوف الحرب ، ويشجع الناس ويقول لهم : يا أهل الإسلام ! إن الصبرَ عزٌّ ، وإن الفشل عجز ، وإن النصر مع الصبر . وقد سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنى عَبْسٍ : كيف كنتم تقهرون من ناوأكم ، ولستم بأكثرَ منهم عدَداً ولا مالاً ؟ فقالوا كنا نصبر بعد اللقاء (لقاء الجيش) هنيهة . وقال على كرم الله وجهه : الصبر مطية لا تكبو[٢] ، وسيف لا ينبو[٣] .

والجزع معناه العجز عن ضبط النفس ، والفشلُ فى وجهِ القوة والحمية والحرارة — التى تسير العقل نحو النصر والظفر — ومعناه الخيبة فى العمل . والشخصية القوية تتنافى مع الجزع وعدم الصبر . وكما أن الصبر

(١) William Pit (١٧٥٩ — ١٨٠٦م) كان من أكبر السياسيين من الإنكليز المعروفين بالخطابة وحسن البيان . (٢) لا تسقط (٣) لا يخيب

يؤدى إلى النجاح ، فالجزع يؤدى إلى الفشل فى كل شىء . ولا توجد العظمة بين الرجال إلا حيث يُوجَدُ الصبرُ . والضعيفُ الصبورُ قوىٌّ بصبره ، والقوى الجزِعُ ضعيف بجزعِه . وإذا وُجـد الصبرُ أرسلت أشعة من النور إلى الشخص فيثق بنفسه ، ويجتهد فى إيجاد جو للفوز والنجاح فى العمل . وإذا ذهب الصبر ذهبت الراحةُ والهدوء ، وآضطربت النفس ، وقلق الفكر .

فينبغى أن يتحلى الإنسانُ بالصبر ، ويشتغل بقدر طاقته ، وينتفعَ بالظروف التى تمر به ؛ كى يصل إلى غرضه ، ويبررَ وجودَه فى هذه الحياة . وإن الصبر مع الضعف أقوى وأشدُّ أثراً من الجزع مع القوة . والمثابرة على العمل مع عدم المبالاة بالنتائج أحسن وسيلة للفوز والانتصار فى كل عمل من الأعمال .

قال صلى الله عليه وسلم : « الصبر نصف الإيمان » ، وقال أيضاً : « إذا ثبتَّ أصبْتَ أو كدْتَ تصيب ، وإذا آستعجلت أخطأت أو كدت تخطئ » .

وقال المسيح عليه السلام : « إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون » . وقال على كرم الله وجهه : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد . ولا جسدَ لمن لا رأسَ له . ولا إيمانَ لمن لا صبر له . وقال أيضاً : لا يعدم الصبورُ الظفرَ وإن طال به الزمانُ . وقال الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده : الصبر خلق من أمهات الأخلاق ، بل مساك كل خلق .

ولنتمثل (بإسحق نيوتن) الفيلسوف الإنكليزى الكبير (١٦٤٢–١٧٢٧م) والعالم العظيم ؛ فإنه ما كان ذا قريحةٍ وقادة ، وذكاء حادٍّ فى مدرسته ، بيد أنه عرف بالصبر والجد ومَضاء العزيمة ، حتى لقد أنبه معلمه مرة فغضب وقال : « يا سيدى إنى وإن كنت عاجزاً لست مقصراً ، وثق بأنى قد بذلت كلَّ جهدى فى استذكار دروسى » .

ولقد سئل (نيوتن) مرة : كيف آستنبطت كل هذه المستنبطات الغريبة ؟ فأجاب : بالتأمل المستمر فيها ؛ فقد كنت أضع الموضوع نصبَ عينى ، وأثابر على مزاولته وعلاجه ، حتى يبزغَ ضوءه ، ويصير نوراً ساطعًا . ومن أقواله المأثورة : « إن كنت قد أديت للعالم خدمة فباجتهادى وجلدى » .

وفى المثل الإنكليزى : « الحجر المتدحرج لا ينبت عليه العشب » . وفى المثل الفرنسى : « النبوغ صبر طويل » . والحق أن أعظمَ هبةٍ طبيعيةٍ مُنِحَها الإنسانُ هى الصبر . فبالصبر والمثابرة يصل الإنسان إلى مبتغاه . وبالجزع وضعف العزيمةِ يفشلُ فى عمله مهما أوتى من ذكاء .

(٤) المثابرة : Determination

إن المثابرةَ وقوةَ الإرادةِ من أهم صفات الشخصية العظيمة . وممن عرفوا بالإرادة الحديدية خالدُ بنُ الوليد ، والإسكندرُ المقدونىّ ، ونابليون بونابرت ، وجورج واشنطون ، والزعيم الخالد الذكر سعد زغلول

باشا ، وكثير غيرهم من العظماء ، ومنهم السير (فُووِل بَكستُون[١]) الذى بذل جهداً عظيماً فى حركة تحرير الأرقاء فى أيام (وِلبَرفورْس[٢]) فقد كان (بكستون) لا يعرف الرجوعَ إلى الوراء . ومن نصائحه المأثورة عنه للقراء :

(ا) لا تترك كتاباً تقرؤه حتى تتمّه .

(ب) لا تظن أنك قد انتهيت من الكتاب إلا إذا فهمته جيداً .

(ح) حكم عقلك فى جميع ما تقرأ .

وفى نهاية حياته التى لم يشعر فيها براحة قال : « إنى واثق بأن الفرق العظيم بين النـاس قويِّهم وضعيفهم ، عظيمهم وحقيرِهم ، فى النشاط ، وقوّة العزيمة ، وتحديد الغرض ، ثم النصر أو الموت » .

وحيثما وجدت الإرادة الحديدية وجدت قوة الشخصية . ولا يكفى أن تقول : أريد أن أكونَ كذا ، أو أحب أن أفعـلَ كذا ، أو أرغب فى كذا ، بل يجب أن تكون الإرادةُ قويةً ، والعزم شديداً ، والرغبة كبيرةً ، ثم تصحب هذه الرغبة بعزيمة ثابتة لا تعرف الضعف ، وهمةٍ عظيمة تستلذ التعبَ ، وتثابر فى عملك حتى تنجح فى الوصول إلى أمنيتك . وإنك لا تستطيع أن تنتفع بالحديد وتصوره كيف شئت إلاّ إذا كان مصهوراً شديد الحرارة . فإذا ما تركته حتى أصبح بارداً فمن الصعب أن تكوِّنَ منه شيئاً .

(١) Sir Fowell Buxton

(٢) Wilberforce

وبمعرفة الشيء ، وإدراك نتائجه ، يمكن تحريك العاطفة ، وإظهارُ القوّة ، وتقويةُ العزيمة والإرادة ، فينظر الإنسان إلى الأمام ، ويعمل إلى النهاية ، غيرَ مبال بالخطر ما دام يعتقد فى الفوز والنجاح ، والوصول إلى الغرض . ولن يؤثرَ فيه مدحٌ أو ذم متى شعر فى نفسه بأنه إذا عزم على شىء فلن يستريحَ حتى يحققه وينتصر عليه .

قال أبو جعفر المنصور :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فإن فساد الرأى أن تترددا

وقد أمر الإسكندر المقدونى أحد قوّاده بالإغارة على حصن أمنعَ من عُقاب الجو ، فخالفه القائد قائلاً : يا سيدى إن ذلك مما لا يستطاع . فصاح الإسكندر فى وجهه مغضباً : « لا شىء فى العالم محال على من يبذل جهداً ، ويمضى عزماً » . ولم يمض إلا قليل حتى أخضع الإسكندر عدوه ، ودمّر حصونه ، وأذل حُماته .

وكان نابليون إمبراطور فرنسا (١٧٦٩ — ١٨٢١) يكره من الكلمات ثلاثاً : « لا أعرف – لا أستطيع – محال » . فكان جوابه عن الأولى : « تعلّم » . وعن الثانية : « حاول » . وعن الثالثة : « جَرِّب » .

الفصل الثامن عشر

(ب) الإخلاص Sincerily

الإخلاص هو الصفاء ، هو الصدق فى القول والعمل ، هو المروءة ، هو أن تعمل فى السر ما لا تستحيي منه فى العلانية ، هو البعد عن الكذب والرياء والنفاق . يقول الشاعر العربى .

فسرى كإعلانى ، وتلك خليقتى * وظلمةُ ليلى مثلُ ضوء نهاريا

وهذا هو الإخلاص عينه ، وهو روح الشخصية . وإذا قيل إن فلاناً أبيض القلب ، صافى السريرة ، صادق صريح فى قوله ، فأعتقد أنه مخلص ، وأن له شخصيةً جذابةً .

فالإخلاص يظهر العقلَ حقيقةً من غير زيادة أو نقص ، أو مبالغة ، أو رياء أو كذب . وحينما ينتفى الإخلاصُ يحاول العقل أن يخفى حقيقته فيغير الحقائق عمداً أو عن غير عمد ، ويجعل الحقَّ باطلاً ، والباطلَ حقاً ، والبعيدَ قريباً ، والقريبَ بعيداً . وليس هذا من الإخلاص فى شىء .

وللإخلاص أثر كبير فى شخصية الإنسان ، وفى نجاحه فى عمله ، وفى حياته العلمية والاجتماعية والاقتصادية . ولا أحد يستطيع أن ينجحَ إلى النهاية بالغش والكذب والخيانة . وإن الذين يلجئون إلى هذه الدنايا

المنافية للإخلاص يخسرون أكثر مما يربحون . ومن المحال تأسيسُ عمل عظيم من الأعمال إلا على أسس قوية من الصدق والأمانة والإخلاص والجد . وقد نغش بعض الأفراد مدة من الزمن ، ولكننا لا يمكننا أن نغشّ الجميع ونضلهم ونضللهم إلى النهاية .

وما الأسماء العظيمة . والجماعات الكبيرة المحترمة ، والشركات التجارية المشهورة ، والمصارف الموثوق بها إلاَّ أثر من آثار الإخلاص ، والأمانة ، والصدق فى المعاملة . وإذا ذهبت الأمانةُ وهى روح الإخلاص ذهبت هذه الأسماء والجماعات والشركات والمصارف ، وأصبحت فى خبر كان .

يقول (إمَرْسُون) الأمريكى : « إن الشرطَ الأساسىّ للنجاح فى العمل هو الغَيْرةُ على العمل ، والغيرة نتيجة الإخلاص » . وإن عدمَ إخلاصنا يقلل من ثقتنا بغيرنا ؛ فاللص يعتقد أن الناسَ جميعا لصوص ، والخائن يعتقد أنه كغيره من الناس ، وأنهم كلَّهم خونة . والمجرم يظن أن الكلّ مجرم مثله . وفى الوقت الذى يرتكب فيه الشخص عمداً خطيئةً من الخطايا يعتقد فى هذه الخطيئة ، ولا يثق بغيرها .

وتظاهر الإنسان بغير الحقيقة ينشأ عن عدم الإخلاص ؛ لأن فيه تشويهاً للحقائق ، وتضليلاً لغيره بالكذب حيناً ، والمبالغة الممقوتة حيناً آخر . وإذا عرفت حقيقة المتظاهر — وسرعان ما تعرف — واتضح أمره ، شك الناس في كلامه ، وقلت أو فقدت ثقتهم به . ومتى فقدت

الثقة بالشخص ضاعت شخصيتهُ . ولا يتظاهر بالعلم — كما قلنا — إلاَّ من يشعر بالجهل . ولا يتظاهر بالغنى إلا الفقراء . ولا يدعى القوةَ إلا الضعفاء . وإذا آستطاع الإنسان أن يخدع الناس جميعاً فإنه لا يستطيع أن يخدع نفسه . وإذا ضاعت ثقته بنفسه فمن المحال أن يشعر بالقوة .

يقول (مارك رذَرْفورْد)[١] « إنه لا يوجد إنسان كلُّه رياء أو كله إخلاصٌ ؛ فنحن جميعًا مراءون فى كل أقوالنا ، وفى كل أفعالنا ، وفى جميع أفكارنا . أما الإخلاصُ فيتوقف على طبيعة الشخص ؛ بمعنى أنه إن كان لديه ميل فطرى للإخلاص فمن الممكن أن يكون مخلصاً بعضَ الإخلاص ، لا الإخلاص كلَّه » .

وإننا نأسف إذا قبلنا هذا القول كما هو من غير أن يُذكَرَ لنا دليل يثبته . ولكننا نسلم بأن الإخلاص نادر ، وأن المخلصين قليلون ، ونعترف بأنه قوة جذابة ليس فوقها قوة . ولهذا القائل العذرُ فيما قال ؛ فالحياة مملوءة بالمخجلات من الرياء والكذب والنفاق والغش والتضليل ، والنقائص المضادة للإخلاص .

ومن العظمة النفسية أن يكون الإنسان مخلصاً ، وفيًّا ، أمينًا فى قوله وعمله . ومن الإخلاص أن يكون الإنسان صريحًا يقول ما يعتقد بكل أمانة وشجاعة . ولكن كم يقاسى الشخص فى سبيل الصراحة ؟ وأين المكان أو الزمان الذى يسمح بالصراحةِ ، الصراحةِ فى إبداء الرأى ؟

---

(١) Mark Rutherford

إننا لا نقول كلَّ ما نعتقد ، ونحن ضحايا البيئة والعادات . وإننا فى سيرنا وأحوالنا نعمل على ألاَّ نخالفَ البيئة التى نعيش فيها ، والعاداتِ التى ربينا عليها . ولكن ما ثمن هذا ؟ الثمن هو تشويه الشخصية الإنسانيةِ ، وإضعاف نفوذها أو تأثيرها الشخصىّ . وكيف يمكن أن نؤثر فى الناس ، ونمتلكَ قلوبَهم ، ونكتسب احترامَهم ، ونتمتعَ بثقتهم إذا سرنا وراء الستار ، ولم نقف أمام إخواننا وأبنائنا بأنفسِنا الحقيقية ؟ كيف نحصل على ثقتهم أو نؤثرُ فيهم إذا قلنا ما لا نعتقد ، واعتقدنا ما لم نقل ، وكنا غيرَ مخلصين ؟

ففى عدم إخلاصنا ظلم لأنفسنا ، وظلم لغيرنا ممن يتصلون بنا ، من أبناء وأقارب وأصدقاء وغيرهم . وهو إذا وجد فى الجواهر النفيسة عد نقصاً كبيراً . وإذا حُرِمَ الإنسان الإخلاصَ فقد حُرِمَ أكبرَ قوة جاذبية وجمــال طبعى فى الحياة الإنسانية .

قال المرحوم سعد زغلول باشا وهو وكيل الجمعية التشريعيــة : « لا عيب فينا فى الرجوع إلى الحق متى ظهر لنا ؛ لأننا ما جئنا هنا لندافع عن أنفسنا ، بل لندافع عن الحق ونؤيده » .

وقد وضح (جون بَنْيان) فى كتابه الثمين : « نجاح الحاج[١] » ما كان عليه أهلُ عصره من غش وخداع ورياء . ذكر أنه قد زاره فى سجنه أحدُ المدّعين من جماعة الأصدقاء[٢] ، وأخبره أنه أحضر له

(١) The Pilgrim's Progress تأليف John Bunyan .
وقد كتب « بنيان » كتبا عدة وهو فى سجنه ، أشهرها الكتاب المذكور ، وقد ترجم إلى معظم لغات العالم .

(٢) The Society of Friends

رسالة من الله ، وآعتذر له عن التأخير فى تسليمها بأنه زار نصف سجون انجلترا وهو يبحث عنه ، وأنه مسرور كلّ السرور للعثور عليه أخيراً .

فأحس (بَنْيان) فى الحال عدم إخلاص هذا الرجل الكاذب ، فقال له : « لو كنت مُرْسلاً من عند الله ما كنتَ فى حاجة إلى هذا التعب فى البحث عني فى جميع السجون ؛ لأنه يعلم أننى فى سجن (بِدْفورْد) منذ سبع سنين مضت » .

وبإخلاص (بَنْيَان) آكتسب كثيراً من تقدير الجمهور له .

ومما يساعد على الإخلاص :

(١) الدقة فى القول تدقيقنا فى النقود ؛ فأقوال الإنسان هى المرآة التى يرى منها عقله . ومن العيوب الشائعة التهاونُ فى آستعمال الكلمات ، وآدعاؤنا معرفةَ أشياء قد نجهلها .

(٢) الدقة فى التفكير ؛ فنزن ما نقوله بميزان الحقيقة خدمة للحقيقة ، ونذكر ما نعتقد بكل شجاعة وأمانة .

وإننا لا نتطلب الإخلاصَ فى القول فحسب ، بل نتطلب أيضاً الإخلاصَ فى الكتابة ، والإخلاصَ فى الفعل ؛ حتى لا نخدع أنفسنا ، ونضلل غيرَنا .

والإخلاص يستدعى إظهــار الحقيقة كما هى ، مع الدقة فى التفكير والقول والكتابة ؛ فلا نقول إلاّ ما نعتقد ، ولا نمدح إلا من يستحق المدح ، ولا ننقد إلا من يستحق النقد ، ولا نحكم إلا بما تمليه

علينا ضمائرنا ، ولا نستعمل الظروف والصفاتِ وأفعلَ التفضيل إلا بكل حكمة ودقة فى التعبير .

فكما تجب الدقة فى العملة كذلك تجب الدقة فى الكلام ، بحيث يتفق منطقُ الرجل مع عقله ، وعقله مع منطقه ، وقوله مع تفكيره ، وتفكيره مع قوله . ولنتذكر دائمًا أن الكلام إذا خرج من القلب وقع فى القلب ، وإذا خرج من اللسان فإنه لن يجاوز الآذان . ولنعمل بما نقول حتى لا نوصف بالرياء والتضليل ؛ قال تعالى : « كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولوا مَا لاَ تَفْعَلونَ » . وقال الله لعيسى عليه السلام : « يا ابنَ مرْيم عِظْ نفسَك ، فإن آتعظتَ فعظِ الناسَ ، وإلا فاستحِ مني » .

الفصل التاسع عشر

(ح) الحمــاسة Enthusiasm

الحماسة نوع من الشجاعــة تصحب بالشعور القوى والإقدام . ولا نريد بالحماسة تلك التى تؤدى بنا إلى السير فى الطريق المظلم فى الحياة ، ولكننا نريد الحماسة المصحوبة بقوة الإيمان من جهة ، والتفكير من جهة أخرى .

ولا يكفى للنجاح فى الحياة أن يكون الإنسان ذكياً ماهراً ، بل يجب أن يتحد مع الذكاء والمهارة قوة أخرى هى الحماسة ، والغيرة الطبعية . وما الفائدة من أن يصل العالم الباحث إلى نظرية من النظريات ، أو فكرة من الأفكار ، إذا لم يستطع أن ينفذها لعدم وجود الحماسة أو الشجاعة الكافية لديه ؟ إنه لا فائدة من نظريات لا يمكن تطبيقها عملياً .

ولكن هل يمكن أن نبث الحماسة ونولدهـا فى النفوس الباردة ؟ والجواب : نعم يمكننا أن نعود الطفل من الصغر الإقدام والشجاعة ، والقيام بالعمل ، والاعتماد على النفس فى كثير من الأعمال . وهناك أشياء ليست بالقليلة نثق بأنها مفيدة ، ونتائجها حسنة ، ومع ذلك نتردد فى تنفيذها ، نقدم رجلاً ونؤخر أخرى ؛ لقلة حماستنا ، وخور عزيمتنا ، وضعف إرادتنا . وكثيراً ما تمر الفرص أمام أعيننا وتضيع منا بسبب

ذلك النقص . وكل ما نحتاج إليه لمعالجة هذا النقص هو أن نفكر فى الشيء أولاً ، فإذا بدا لنا صوابه فلنصحبه بالعمل وقوة العزيمة . وإذا وثقت بطريقك فأسرِع فى خطاك ، وسر فى سبيلك حتى تصل إلى النهاية . قال (إمرسون) الكاتب الأمريكى : « بغير الحماسة لا يمكن القيام بأمرعظيم فى الحياة » . ولأجل أن يكون الخلق عظيماً ، وتكون الشخصية قوية يجب أن يضاءا بقوة من الحرارة .

وتكون الحماسة بتشجيع الطفل على أن يطلع على ما يحسنُ الاطلاعُ عليه ، وأن يرى ما تحسن رؤيتُه ، وأن يبحثَ عن الحسنات أكثرَ من البحث عن السيئات ، وأن يستحسن أكثر مما يستقبح ، وأن يوافِقَ أكثر من أن يخالف ، وأن يثبتَ أكثر مما ينفى ، وأن يشَجع أكثرَ من أن يثبِّط .

والأمل فى المسن — الذى بلغ من العمر سبعين سنة ، المملوء حماسة ونشاطًا ، أكثرُ من الأمل فى الشاب الضعيف ، المتردد ، الجبان . والأمل محال فى النفوس الضعيفة المترددة فى كل شيء ، وفى أقل شيء . ولا رجاء فى العالم إذا وضعت اليـد الباردة ، يد الجبن ، على قلوب الشباب . فإذا أعطيت أية فرصة ففكر مليًّا ، ثم إذا آستصوبت الأمرَ فأقدِمْ ، ولا تتردَّدْ ، ولا تخفْ صغر السن ، ما دمتَ على صواب . ومن الخطأ أن يظنّ الإنسانُ أنه أصبح كبيرَ السن ، ولا يُرْجى منه عمل .

ولا تعجب إذا سمعت أن (المستر جلادستون[١]) لم يبتدئ أعماله العظيمة إلا فى سن الخمسين . فعامل السنّ لا يؤثر فى الحماسة كلّ التأثير كما يظن . والشباب شيء نسبي ؛ فقد تجد روح الشباب فى بعض الشيوخ ، وتجد روح الشيوخ فى بعض الشبان .

والإنسان يأسف إذا قال : إن معظم الشبان لدينا منصرفون إلى الملاهى ، لا يفكرون إلا فى اللذات ، وآمالهم ضعيفة فى الحياة ، وكلها موجهة إلى الوظائف مهما كانت وضيعة . أما الإقدام على الأعمال الحرة فقليل . وإذا دخلوا ذلك الميدان كانوا مضطرين ، والحماسة بعيدة عنهم ، وهم بعيدون عنها . والإيمان بعيد عن قلوبهم ، فهم يعملون عن غير عزيمة أو عقيدة . وقد أصبحت العقول مظلمة ، عليها طبقة كثيفة من السحب والغيوم ، وصارت الأرواح ضعيفة خاملة .

ونحن فى حاجة إلى الخيال والشعر والموسيقا حتى تبعث روح الحماسة فى النفوس ، وتوجد الشخصيات الفذة ، كما أننا فى حاجة إلى أن نشعر بأننا خلقنا فى هذا العالم لنقوم بتبليغ رسالة وطنية أو علمية أو اجتماعية أو خلقية أو صحية ، ونمثل دوراً عظيماً فى رواية الحياة .

وبجانب التعود والخيال والأمل نحتاج فى بث الحماسة فى النفوس إلى قوة الهجوم ، وروح الاحتجاج والمعارضة حينما تقابل أو نفاجأ بالمصاعب والعوائق التى تعوقنا عن القيام بالعمل . فإذا أردت أن تنجح

---

(١) اقرأ : Life of gladstone, by John Morley

فى عملك فابذل كل ما تستطيع من جهد وعمل ، واعمل بجد ، ثم ثابر على هذا العمل ، و بالله توفيقك .

و ينشأ عدمُ الحماسة عن الشك وعن الخبث ، وهما من ألد أعداء الشخصية . قال (رُوبَرْت لُويس سْتِيفِنْسُون[١]) : إنى أمقت الخبث (Cynicism) أكثرَ من مقتى للشيطان إذا كان الاثنـان شيئاً واحداً » . فلنترك كثرة التشكك والتردد ، ولنتجنب الوسوسة فى كل شىء ، ولنتمسك بالجد والعمـل والإقدام حتى نتصل بالقوى العظيمة فى الحياة . ولنسر مع الجماعة ، ولا نقف فى عزلة ؛ ففى الجماعة قوة ، وفى العزلة ضعف . وفى القوة عظمة ، وفى الضعف مذلة .

ومن الحماسة أن تعبر عمـا فى نفسك بالقول والفعل تعبيراً حسناً ؛ فلحسن التعبير أثر كبير فى الشخصية . ومما يقال عن سيدة أساءت التعبير عن شعورها ووجدانها أنها أخذت تبكى مما شاهدته فى رواية تمثيلية خيالية ، فى حين أنها تركت سائق عجلتها فى البرد حتى تجمد ، ومات وهو ينتظرها فى خارج المسرح . فينبغى أن يفكرُ الإنسانُ فى غيره ، و يشاركه فى شعوره ، و يفكرَ فى الحقيقة أكثرَ من تفكيره فى الخيال ، ويُقْدم حيث يجب الإقدامُ ، و يمتنع حيث يجبُ الامتناعُ ، كى يمثل دوره ، و يقوم بواجبه ، و يحقق الحكمة من وجوده وهى العمل .

---

(١) Robert Louis Stevenson (١٨٥٠ — ١٨٩٤) كاتب إنكليزى ، قضى كثيراً من حياته القصيرة مريضاً . وكتب معظم كتبه وهو على فراش المرض . وهو خير مثل فى قوة الروح وقوة الإرادة .

(د) قوة الإحساس Sensibility

إن قوةَ الإحساس من أكبر المؤثرات فى الشخصية القوية ، وبعضها ينْسَبُ إلى الوراثة ، وبعضها مكتسب بالتربية والخبرة والتهذيب . وإن الإنسانَ الصادقَ الحسّ ، الحسنَ البصيرة ليس بذكى فحسب ، ولكنه حسنُ التقدير والحكم على الأشياء ؛ يرى الفرصةَ فينتهزها ، وينتفع بها . والفرص تمر بنا جميعًا ، وقد تمر عبثًا ولا نحس بها ، وإذا أحسسنا بها فقد نتركها حتى تمر مرّ الرياح ، وتذهب سُدًى .

فالمساواة فى الفرصة لا تكفى وحدها ، ولكن يجب الشعور بها ، والاستفادة منها . ولو أمكن أن نعطى الناس فى الغد فرصة واحدة ، فإننا نجد قليلين جدًّا لديهم القدرة على رؤيتها أو الانتفاع بها فى حينها . أما الكثيرون فقد لايلاحظون مجيئها أو مرورها إلا بعد انتهائها ، ولكنهم يظهرون أنهم عقلاء حكماء يتمثلُ فيهم العقلُ والحكمة بعد زوال الفرصة .

وهناكَ أفراد لهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها . وليس السبب فى قلة الرؤية أو السمع ناشئًا عن ضعف ما أوتوا من إحساس ، ولكنه ناشئ عن إهمال ما لديهم من الإحساس ، وعن عدم الانتفاع بما منحوا من مواهب وميول وأمزجة وسجايا .

وإذا مدحنا صدق الحس ، وإجابة الداعى ، وقوة الإحساس فى

الإنسان ، فإننا لا نمدح أن يكون شديد الإحساس(Sensitive) ؛ بحيث يتأثر لأقل شيء ، بل نطالب أن يحدد هـذا الإحساس حتى يعتادَ الشخص ضبط نفسه ، وكتمان شعوره ، فلا يكون شديد التأثر لأتفه الأسباب . فضبط النفس هو روحُ الشخصية وقوتها المعنوية . وقد وصف الشاعر الإنكليزى (شِلِي)[١] النباتَ الحساسَ فى قصيدة له بهذا العنوان[٢] فقال :

« قد نمــا النبات الحساس[٣] فى الحديقة ، ثم غذاه النسيم العليلُ بالطَّل[٤] الفضى . وفتح للنور وجوهًا من الأوراق ، ثم طواها تحت قبلات الليل . »

وإن معرفة متى نفتح عقولنا لاستقبال تلك الآثار التى لا حدَّ لها فى الحياة ، ومتى نمنعها عن آستقبالها تستلزم أن نعرف كثيراً عن أسرار الحياة ، وأسرار السعادة ؛ لأن الجهل بتلك الأسرار قد يؤدى إلى تضحية الإنسان براحته العقلية ، وسعادته الداخلية .

---

(١) Percy Bysshe Shelley شاعر إنكليزى من شعراء الطبيعة ، معروف بحبه للطبيعة ، وغيرته على الإصلاح .
(٢) Sensitive Plant
(٣) « A Sensitive Plant in a garden grew,
And the young winds fed it with silver dew,
And it opened its face like leaves to the light,
And closed them beneath the kisses of night. »
(٤) الندى الخفيف .

الفصل العشرون

اضطراب الشخصية وانقسامها[١]

الآن وقد تكلمنا عن الشخصية وماهيتها ، وعناصرها ، وأنواعها ، ومضعفاتها ومكملاتها ، لا يفوتنا قبل أن نختم هذا الفصل ، وهذا الكتاب ، أن نذكر كلمة موجزة عن اضطراب الشخصية وانقسامها ؛ لما للموضوع من الأهمية . وقد كتبت عنه كتب[٢] باللغات الأجنبية المختلفة ، فارجع إليها إن شئت .

إن الانسان وإن كان يعد وحدة لا تتجزأ ، قد لا تتحد دائماً ميوله الفطرية المختلفة ، ورغباته المتعددة . وقد يتعارض بعضها مع بعضها الآخر ، فيختلف سلوك الإنسان باختلاف الظروف .

وكثيراً ما نقول إن سلوك فلان اليوم يختلف عن سلوكه العادى ، أو نقول : إن فلاناً كامل دائماً ؛ مريدين بذلك أنه لا يتغير مطلقاً ، وأن ميوله متحدة ، فى حين أننا نحكم على شخص آخر بأنه رجل لا يمكن التحقق منه ، أو الثقة به ؛ لأنه كثير التغير والانقلاب ، وليس على حال واحدة . ولكن من الكمال تهذيب الميول المختلفة والتوفيق بينها بحكمة حتى تكون شخصية الإنسان كاملة .

---

(١) Disorders of Personality

(٢) راجع :

(A) Diseases of Personality, by Ribot, Eng. trans. 1891.
(B) Alterations of Personality, by Binet, Eng. Trans., 1896.

انقسام الشخصية[1]

قد تنقسم الشخصية وتتعدّد وتسير فى أكثر من طريق واحدة ، فيكون للإنسان شخصيتان أو أكثر : شخصيةٌ له فى عمله ، وأخرى له فى منزله مثلا . وقد تكون الغرائز والميولُ والرغبات المسيطرةُ على الإنسان فى هاتين الجهتين مختلفًا بعضها عن بعض ، فيختلف سلوكه تبعًا لاختلافها ؛ فبينا تراه فى عمله قاسيًا فظًّا غليظًا جافًّا ، إذ تجده فى منزله مع زوجه وأبنائه وديعًا سهلاً كريمًا . والشواهد على ذلك كثيرة . وإن رواية « الدكتور جيكل والمستر هايد »[2] مثل واضح فى تعدد الشخصية ، وإن كان ذلك المثل أقربَ إلى الخيال منه إلى الحقيقة ؛ لأنه بعيد عن الحياة الحقيقية . وإذا قلنا بتعدد الشخصية وانقسامها فكأننا سلمنا بأن هناك شخصين فى جسم واحد ؛ وفى هذا القول نظر . ولكن قد أثبته الدكتور (مورتون برِنْس)[3] كما سيأتى :

وقد تمرض الشخصية الإنسانية وتضطرب تبعًا لاضطراب الأعصاب والعقل ، فتختل الذاكرة أو تفقد ، ويضطرب التفكير ، وتتغير بعض مظاهر الجسم ، وتختلف قوة الإحساس ، كما يختلف الميل والمزاج ،

---

(١) Dissociation of Personality

(٢) Dr. Jekyll a Mr. Hyde

(٣) Dr. Morton Prince

فيظهر المريض فى حالة غير حالته الطبعية ، ويشعر شعوراً مختلفاً ، ويبدى آراء تخالف آراءهُ وهو فى حالته الطبعية الأولى . ويقوم بأعمال غريبة آلية قد تعد فوق الطاقة البشرية العادية . ويسيطر عليه فى ذلك الوقت العقلُ الباطن . وقد يفكر فى أشياء لا وجود لها مطلقاً . وقد يتكلم فى أمور بعيدة عن العقل والمنطق . وقد يعتقد أن له جسمين ينامان فى سريرين مختلفين ، والواقع أنه جسم واحد له شخصيتان أو أكثر .

وفى حالة الذهول واضطراب الشخصية ، والنوبة العصبية ، قد يشعر بعض المرضى بأنهم فقدوا أسنانهم ، أو فقدوا معدتهم ، أو أصبحوا بلا أرجل ، وما فقدوا شيئاً من أسنانهم أو معدتهم أو أرجلهم . ويظن اخرون أن أجسامهم زجاجية أو خشبية أو مصنوعة من الزبدة .

وقد يشعر المريض بأنه خفيف الروح ، ويزعم بشخصيته الجديدة أنه (عنترة) فى القوة والبطولة ، أو أنه ملك من الملوك ، ويتخذ له تاجاً ، ويأمر وينهى ، ويتظاهر بمظاهر الأبهة والعظمة ، أو أنه إلّه خالق لهذا العالم . منظمٌ لهذا الكون ، أو أنه أعلمُ العلماء ، وشيخُ الفلاسفة ، وكبيرُ المشرعين ، لا آخر لعلمه ولا نهايةَ لفضله ، أو أنه (فورد) فى ثروته ، مصانعهُ لا تتسع لها بقاعُ الأرض ، وشركاته تحتل الجوَّ وتملأُ البحارَ والأنهار . . . وما إلى ذلك من التخيلات التى لا حد لها ولا ضابط ، مما يتخيله المجانينُ فى كثير من الأحيان .

أمثلة لانقسام الشخصية :

ولنذكر هنا بعض الأمثلة لانقسام الشخصية ، وتعاقب شخصيتين ، أو أكثرَ على شخص واحد ، فى حالات الأمراض العقلية والعصبية المزمنةِ عندَ الذهول ، حيث يفقِدُ المريضُ شعورَه ويتشنج .

(١) امرأة قضت شطراً من حياتها فى العهر ، تلك الرذيلة التى يَنْدَى لها جبينُ الإنسانيـة ، ثم ذهبت إلى الدير — وقد قضى على أعصابها — لتقضىَ الشطرَ الأخير من حياتها فى الرهبانية .

ففى أثناء النوبة العصبية كانت تتعاقب عليها حالتان : حالة العهر، وحالة الرهبانية ، فتتكلم آونة بلسان العاهر معتقدة أنها عاهر، فى وقت ليست فيه بالعاهر. وتتكلم حيناً بلسان الراهبة ، ممثلة حياة الراهبة . وفى كلتا الحالتين يتغير صوتها وحديثُها وأفكارُها، وتَتَبَدَّل حالُها ، وتغير ملابسها، وتجدها فى حالة غير حالتها الطبيعية وقت اليقظة كأنها امرأة أخرى ، وشخص آخر ، وكأن المتكلمة شخصية أخرى غيرُ الشخصية التى تعرفها من قبل ، شخصية جديدة مختلفة كلَّ الاختلاف ، ولا عهدَ لك بها .

(٢) ضابط فرنسى انتابته الأمراضُ العصبية بعـد الحرب العالمية الكبرى ، فترك حياة الجندية ، وانتسب إلى الدير ليحيا حياة الرهبانية . فكان أحياناً فى حالة ذهوله يتخيل أنه رجع إلى الجندية ، وأصبح جندياً كما كان ، فيحلق ذقنه ويقص شاربه ، ويخلع ملابس الرهبنة ،

ويلبس ملابس الجندى ، ويغير عادته ، ويتحدث حديث الضباط ، ويسير سيرهم ، ويظهر بشخصيته الأولى ، حتى يظن من رآه أنه عاد ضابطاً كما كان .

(٣) ولد كان مريضاً بالمالخوليا ، لم يجد فى طفولته أية عناية ، وحُرم كل شىء يدعى تربية أو تعليما . كان الشارعُ مأواه ، والطريق ملجأه ، والاستجداء مهنته ، يستجدى حيناً ، ويسرق حين لا يجد من يعطى . أخذ يسرق حتى حكم عليه ، فأخذ إلى إصلاحية الأحداث ، وهناك تعلم صناعة الخياطة . وفى بعض الأحيان عند ذهوله واضطرابه تعود إليه شخصيته الأولى ، فينسى حياته الأخيرة ، وينسى معها الخياطة ، ولا يتذكر شيئاً عنها ، ولا يستطيع أن يخيط شيئاً . ويصبحُ ثانية مثلاً للشريد الطريد ، واللص الماهر ، والسائل المسكين ، فينتقل من الحالة الجديدة : حالة النظام وحسن السلوك إلى حالته الأولى ، حالة التشرد والسرقة والبذاءة والاستجداء .

وهناك حالات أخرى وأمثلة كثيرة ، يضيق المقام عن ذكرها ، فارجع إليها فى كتاب (بينيه) السابق الذكر ، أو فى كتاب (ماكنيش[١]) إذا أردت .

وتلك الحالات كلها تبين أن الإنسان قد تتعدد شخصيته بغير ضابط ، وبغير نظام معين ، فتختلف شخصيته ، ويختلف سلوكه من حالة إلى

(١) The Philosophy of Sleep, by, Mac Nish (1830).

أخرى ؛ فبينما يكون فى حالة اليقظة هادئاً ساكناً وديعاً إذ يكون فى حالة الذهول شكساً غضوباً شريراً .

وبقوة العقل الباطن تحتل الشخصية الثانية أو الشاذة مكان الشخصية الأولى أو الطبعية بالتدريج . وفى أثناء النوبة قد يتذكر المريض تجاربه السابقة ، وما حدث له فى الماضى . ويتكلم كأنه يتكلم عن شخص آخر . وبعد اليقظة لا يستطيع أن يتذكر ما قاله أو فعله وهو فى حالته الشاذة ، إلا بطريقة الإيحاء إذا نوم .

وقد تتجسس الشخصية الثانية على الشخصية الأولى ، فتلاحظها من وراء ستار ، وعلى هذا ينقسم الشخص قسمين يعملان فى وقت واحد ، ولكن فى جهتين مختلفتين .

وبالطريقة الآتية قد رد الدكتور (مورتون بِرْنْس) على من يشك فى وجود شخصية ثانية . فقد آستطاع أن يمكّن فتاة من أن تنتقل من حالتها الطبعية إلى الحالة الشاذة ثم يعيدها إلى حالتها الأولى بطريقة تشبه طريقة التنويم المغناطيسى ، وأخبرها وهى فى أثناء نومها أنها مكلفة أن تحل مسائل حسابية معينة ، ولم يُرها الأعداد الحقيقية فى الجواب ، حتى رجعت إلى حالتها الأولى وهى حالة اليقظة ، فأراها إياها مدة وجيزة من الزمن . ولما نوّمت مرة ثانية وسئلت عن الأجوبة ، أجابت فى الحال وقالت إن الأجوبة كانت حاضرة لديها ، وكانت تنتظر إعلانها بفروغ صبر . وهذا على الأقل مظهر من المظاهر التى تؤيد رأى الدكتور (برنس) ،

وهو أن جزئين مختلفين من الشخص كانا يعملان فى وقت واحد عمداً. ولكن هل يحدث مثل ذلك فى الحياة العادية ؟ نعم قد يحدث للإنسان أمران : أحدهما محزن ، والآخر سار ، فى وقت واحد ، فبينما تراه حزيناً لفقد عزيز لديه مثلاً ، إذ تراه مسروراً لربحه عشرة آلاف من الدنانير فى التجارة فى ذلك اليوم .

أسباب انقسام الشخصية

وما يعترى المريض فى حالته غير الطبيعية

إن انقسام الشخصية حالة غير طبيعية للإنسان ، تنشأ عن صدمة وجدانية عنيفة ، أو حادثة مرعبة ، أو مفاجآت كلها أهوال ونكبات ، فتختل أعصاب الشخص ، ويضطرب عقله ، وتتبدل حالته الطبيعية . وتتغير إلى حالة أو حالات أخرى يختلف الشخص فى أثنائها فى تفكيره وآرائه وصوته ، وشعوره ، وميله ، ومزاجه ، وأقواله وأفعاله . والانتقال من حالة إلى أخرى قد يصحبه نوم عميق أو غيبوبة ؛ بأن يمكث مدة لا يشعر فيها بشىء . وقد يلاحظ هذا الانتقال قبل حدوثه ، وقد يظهر التغير بغتة ، كما قد يختفى بغتة فى غير الموعد المعروف .

وقد حدث أن رجلاً سكيراً وجد ابنته الصغيرة التى تبلغ من العمر أربع سنوات نائمة فى سريره ، فألقاها وهو فى حالة السكر على الأرض

بعنف ، ففزعت الطفلة أيما فزع . ومن تلك اللحظة تغيرت شخصيتها ؛ فبعد أن كانت فرحة مرحة مبتسمة ضاحكة ، أصبحت فى حالة أخرى ، تمثل الكآبة الدائمة ، والحزن المستمر ، وأخذت الأمراضُ العصبية تنتابها حتى قضت نحبها فى العاشرة من عمرها ، ولسان حالها يقول :

هذا جناه أبى علىّ وما جنيت على أحد .

وذهبت الفتاة ضحية السكر وسوء التصرف .

والشخصية الثانية قد ترث الشخصية الأولى علماً وعملاً ، وقد لا ترثها مطلقاً ؛ فيترك الفرد كأنه طفل حديث الولادة ، لا يعلم عن الحياة شيئاً ، ولا خبرة له بشىء ، وعليه أن يتعلم كل شىء من جديد ، وإن كان يرى كبيراً فى جسمه . وقد يكون التغير وقتياً فى ساعات معينة، من أيام معينة ، وقد يكون دائماً .

تحليل الشخصية

وبالتنويم المغناطيسى، والتنويم الصناعى أو الطبى بالمخدرات المختلفة[١] تمكن دراسة بعض الحالات العصبية وتحليل الشخصية . والمنوم وإن كان فاقداً لشعوره ، لا يدرى ما يدور حوله[٢]، يمكنه أن يحس تحت تأثير الإيحاء .

(١) التنويم بالكلوروفورم أو الكوكايين أو الأثير .

(٢) إذا كان التخدير عامًّا وغير موضعى .

ويعد آضطراب الشخصية حالة من الأحوال الشاذة كحالة مشى النائم، وقيامه بأشياء غريبة تحت تأثير العقل الباطن تعد من المحال وقت اليقظة .

وتختلف الشخصية الثانيـــة عن الأولى كل الاختلاف . وفى حالة التنويم يمكن أن تذكر الحالات المنسية بسبب المرض وآضطراب الشخصية .

وعلى أى حال لا يمكننا أن نعتمد من الوجهة العلمية الدقيقة على النتائج التى يمكن الوصول إليها بمثل هذا التحليل .

وختامًا أسأل الله الهداية والتوفيق .

المراجع العربية

(١) البيان والتبيين للجاحظ .

(٢) كتاب الأذكياء لابن الجوزى .

(٣) نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ، طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٦ .

(٤) الإحياء للغزالى .

(٥) الأمالى لأبى على القالى — طبعة بولاق سنة ١٣٢٤ ﻫ .

(٦) العمدة لابن رشيق — طبعة الخانجى سنة ١٩٠٧ .

(٧) زهر الآداب للحصرى القيروانى — شرح الدكتور زكى مبارك .

(٨) مقامات بديع الزمان الهمذانى — (طبعة اليسوعيين) .

(٩) مجانى الأدب فى حدائق العرب ، للأب لويس شيخو اليسوعى (طبعة اليسوعيين ١٩١٣) .

(١٠) الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى .

(١١) ثمرات الأوراق للحموى .

(١٢) الصناعتين لأبى هلال العسكرى .

المراجع الإنكليزية

1. Alterations of Personality, by Binet, Eng. trans., 1896.
2. Dictionary of Philosophy and Psychology, Edited by J. M. Baldwin, vol. 11, pp. 284-86.
3. Psychology, by Woodworth, ch. XXI.
4. An Outline of Psychology, by William Mc. Dougall, ch. XVIII.
5. Manual of Psychology, by Stout, Bk. IV, chaps. VII & X.
6. Character and the Conduct of Life, by W. Mc. Dougall, chaps., V and X.
7. Psychology for Teachers, by Lloyed Morgan, ch. X.
8. Psychology of Education, by Welton, ch. XIII.
9. Introduction to Psychology, by Loveday and Green, ch. XVI.
10. The Changing School, by P.B. Ballard, ch, VII.
11. Education: Its Data and First Principles, by Sir Percy Nunn.
12. The Philosophy of Sleep, by Mac Nish, 1930.
13. Diseases of Personality, by Ribot, Eng. trans. 1891.
14. Life of Gladstone, by John Morley.

الفهرس التفصيلى

ص	الموضوع
	الفصل الاول
٧	مقـــدمة .
٨	تعريف الشخصية .
١٠	هل الشخصية هبـة فطرية أم صفة مكتسبة ؟
١٢	الاختلاف فى الشخصية .
	الفصل الثانى
١٤	العنـاصر الرئيسية التى تتكون منها الشخصية القوية .
١٤	الجاذبية وتعريفها .
١٤	بمـاذا يجتذب الانسان غيره من الناس ؟
	الفصل الثالث
١٦	النشاط العقلى أو الذكاء .
١٦	أثر الذكاء فى شخصية الانسان .
١٧	ذكاء أولاد نزار .
١٨	ذكاء معن بن زائدة .
١٩	غلام ذكى وعمر بن عبد العزيز .
١٩	الولد النجيب والخليفة .
٢٠	المأمون والحسن بن رجاء .
٢٠	ذكاء إياس بن معاوية .
٢١	رأى الفيلسوف يعقوب الكندى فى أبى تمام .
٢١	أبو تمام وعبد الله بن طاهر .
٢٢	الحجاج وامرأة من الخوارج .
٢٢	شريح القاضى .
٢٣	الحجاج والأعرابى .
٢٣	حيلة الامام أبي حنيفة فى القبض على اللصوص .
٢٤	الامام أبو حنيفة والأعرابى .
٢٥	ذكاء جارية .
٢٥	موسى الهـادى والتخلص من الخارجى .
٢٧	أحمد بن طولون والجاسوس .
٢٧	أثر ذكاء « أبراهام لنكولن » .
٢٩	حضور بديهة «اللورد ماكولى» .
٣٠	سرعة الخاطر لدى المستر لويد جورج .
	الفصل الرابع
٣١	المشاركة الوجدانيـة وأثرها فى الشخصية .
٣٢	قسوة نابليون .

ص	الموضوع
٣٢	الرؤساء والمشاركة الوجدانية .
٣٣	(السيروولترسكوت) والمشاركة الوجدانية .
٣٥	تتمثل المشاركة الوجدانيـة فى سيدنا عمر بن الخطاب .
٣٧	عطف المهدى على أعرابية .
٣٧	عطف المأمون على عمرو بن مسعدة .
٣٨	رأفة عبدالله بن أبى بكرة بأعرابية .
٣٩	عفو المأمون عن رجل أذنب .
٣٩	عفو عبد الملك بن مروان عن رجل بعد الأمر بقتله .
٣٩	إحسان محمد بن حميد الطوسى إلى من أساء إليه .
٤٠	عفو سليمان بن عبد الملك .
٤١	حكايات عن (أبراهام لنكولن) تتمثل فيها المشاركة الوجدانية .
٤٣	(صامويل جونسون) وعطفه على البائسين .
٤٣	الطبيب أوليفر جولدسمث .

الفصل الخامس

ص	الموضوع
٤٤	الشجاعة فضيلة .
٤٥	مظاهر الشجاعة .
٤٥	الشجاعة فى ضبط النفس .
٤٦	جعفر الصادق وضبط النفس .
٤٦	المخاوف الوهمية تكثر عند ضعف الشخصية .
٤٧	الشجاعة فى مقاومة مصاعب الحياة .
٤٩	« المسيح عليه السلام » وضبط النفس .
٤٩	عفو المأمون .
٥٠	حلم الأحنف بن قيس .
٥٠	الجارية وعبد الله بن جعفر .
٥٠	ما قاله لقمان وقيس بن عاصم وبعض الفلاسفة فى الحلم .
٥٢	أوجه الحلم .
٥٣	إبرهيم بن سليمان بن عبد الملك .
٥٥	رأى (هربرت سبنسر) فى ضبط النفس .
٥٥	(جورج واشنطون) وكتمان الشعور .
٥٥	الشجاعة فى التغلب على الصعاب .
٥٦	شجاعة عمر بن الخطاب وخالد ابن الوليد .
٥٧	إقدام (نابليون بونابرت) .
٥٨	الشجاعة فى إبداء الرأى .
٥٨	شجاعة ضرار الصدائى فى وصفه لسيدنا على .
٥٩	معاوية والزرقاء .
٦٢	الحجاج والاعتراض عليه فى إطالة الخطبة .

الفصل السادس

ص	الموضوع
٦٣	الحكمة وسداد الرأى .
٦٤	رأى ابن مسكويه فى الحكمة .

ص	الموضوع
٦٥	حزم عنترة العبسى .
٦٦	أحزم الناس وأخرقهم .
٦٦	ما تتطلبه الحكمة قبل الشروع فى الفعل .
٦٧	ما يحول دون الحكمة .
٦٧	حزم معاوية بن أبى سفيان وحلمه .
	الفصل السابع
٦٨	التفاؤل . وتمثله لدى الرسول الكامل .
٦٩	ينشأ التشاؤم عن ضعف النشاط ووهن الرقابة العقلية .
٧٠	تفاؤل قتيبة بن مسلم .
٧٠	ما قيل فى التفاؤل والتشاؤم .
٧١	ابن الرومى كان كثير التطير .
٧٢	لا تزال روح التشاؤم سائدة فى الخرافات .
	الفصل الثامن
٧٣	التواضع أساس للشخصية المحبوبة .
٧٤	التواضع فى غير ذلة سبيل النجاح .
٧٤	تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم .
٧٥	تواضع سيدنا عمر والنجاشى .
٧٦	تواضع (لويس باستور) العالم الفرنسى .

ص	الموضوع
٧٦	تواضع (المهاتما غاندى) .
٧٦	التصنع والتظاهر والجعجعة من علامات الضعف .
٧٧	ليس من الحكمة أن يغتر الانسان بالمظاهر .
٧٨	ما قاله حممة بن رافع الدوسى عند ملك من ملوك حمير
٧٨	ابن الأخيار وابن الأشرار .
	الفصل التاسع
٧٩	حسن مظهر الانسان وقوامه وأثره فى الشخصية .
٧٩	إن من يشعر بنقص جسمى يتجمل ليكمل ذلك النقص .
٧٩	شخصية سقراط .
٨٠	شخصية الجاحظ .
	الفصل العاشر
٨١	قوة البيان تكسب الانسان شخصية قوية .
٨١	موسى وفرعون وهرون .
٨٢	تأثر مصعب بن الزبير بطلاوة العبارة .
٨٣	آراء الجاحظ فى البيان والتبيين.
٨٤	جعفر بن يحيي البرمكى وقوة البيان .
٨٤	ما قاله سهل بن هرون ، ويونس ابن حبيب ، وابن التوام فى البيان.

ص	الموضوع
٨٥	ما قاله عامر بن عبد القيس فى قوة البيان .
٨٥	تأثر عمر بن الخطاب بحسن بيان الأحنف بن قيس .
٨٦	الحجاج وفصاحة الفتيان الثلاثة .
٨٧	دِرواس وهشام بن عبد الملك .

الفصل الحادى عشر

ص	الموضوع
٨٩	الثقة بالنفس والاعتماد عليها .
٨٩	ينبغى أن نعود الأطفال الاستقلال الشخصى .
٩٠	ما يتطلبه الاعتماد على النفس من الأمور .
٩٠	الرجل الواثق بنفسه وقوله وفعله يستطيع أن يقف وحده منادياً برأيه .
٩٠	المصلحون يسبقون فى آرائهم المجتمع الذين يعيشون فيه بعشرات السنين .
٩٠	رأى (جوستاف لوبون) فى الثقة بالنفس .

الفصل الثانى عشر

ص	الموضوع
٩١	اعتدال المزاج وأثره فى الشخصية
٩١	اختلاف الناس فى الأمزجة .
٩١	أقسام الأمزجة .
٩٢	آراء العلماء قديما وحديثا فى الأمزجة .
٩٣	تأثر المزاج بالمواد الكيميائية وإفرازات الغدد .
٩٤	العناصر التى يجب أن تتحقق فى الشخصية القوية .

الفصل الثالث عشر

ص	الموضوع
٩٥	أنواع الشخصية .
٩٥	الشخصية العملية .
٩٦	الشخصية العملية أكثر أثرا فى الحياة من الشخصية الخيالية .
٩٧	عناية التربية فيما مضى بالعلم أكثر من العمل .
٩٧	يجب أن يكون العلم وسيلة للعمل .
٩٨	يكاد العالم المادى يقضى على العالم الروحى .
٩٩	هل يمكن الجمع بين الروح والمادة فى آن واحد ؟
١٠٠	العزيمة الصادقة سر عظيم من أسرار الشخصية العملية .

الفصل الرابع عشر

ص	الموضوع
١٠١	وسائل تقوية الشخصية العملية .
١٠١	يجب تحديد الغرض ومعرفة الطريق الموصل .
١٠٢	رأى (وردسورث) الشاعر الإنكليزى فى تعيين الغرض .
١٠٢	عمر بن عبد العزيز وعلو الهمة .
١٠٣	الرغبة فى العمل وأثرها فى النجاح .

ص	الموضوع
١٠٤	رغبة أبراهام لنكولن) فى تحرير العبيد .
١٠٤	رغبة (لشارلز ديكنز) فى الاصلاح الاجتماعى .
١٠٤	رغبة (دزرائيلى) فى شراء أسهم قناة السويس خلدت ذكراه بين الانكليز .
١٠٥	إديسون والأعمال (الميكانيكية)
١٠٥	الرغبة نوعان : مباشرة وغير مباشرة .
١٠٦	المثل الأعلى فى أن نعمل حباً فى العمل .
١٠٦	للحصول على شخصية عملية قوية يجب أن يصحب العمل برغبة طبيعية .
١٠٧	الشعور بالواجب خير كفيل لمضاعفة العزيمة .
١٠٧	(إمرسون) والشعور بالواجب
١٠٨	العلاقة بين الشخصية والشعور بالواجب .
١٠٨	آثار (بدروسكى) و (كرزلر) فى جمال الموسيقا .
١٠٨	آثار (تنسون) و(وردسورث) فى روعة الشعر .
١٠٨	الضمير الحى وأثره فى الشخصيات الخالدة .
١٠٩	الزعيم الخالد سعد زغلول باشا والعظمة الانسانية .
١٠٩	قوة الوازع الدينى والشخصية .
١١٠	المصلحون من المسلمين .
١١١	(هليل) والربانى (عقبة) من الاسرائيليين .
١١١	مارتن لوثر، وكارليل ، ورسكن من المسيحيين .

الفصل الخامس عشر

ص	الموضوع
١١٣	الشخصية الفكرية أو الخلقية .
١١٣	فى العمل تتمثل روح صاحبه وأفكاره وأخلاقه .
١١٤	وصف (روبرت برونتج) شخصية (بيبا) .
١١٥	الشخصية القوية وأثرها فى النجاح .
١١٥	الشخصية القوية لا تستدعى جلبة ولا ضوضاء .
١١٦	الفرق بين الشخصيتين العملية والفكرية .
١١٦	الصفات التى يجب أن تتحقق فى الشخصية الفكرية أو الخلقية .
١١٧	الهدوء العقلى .
١١٧	عن أى شىء ينشأ الاضطراب العقلى ؟
١١٧	(وليام هازلت) وعجزه عن ضبط نفسه .
١١٨	الرضا بالحياة مع العمل .
١١٩	(جيته الألمانى) وميله للمعارضة.

ص	الموضوع
١٢٠	(اللورد أف برى) ورأيه فى السعى للنجاح فى الحياة .
١٢٠	(مارك تون) والمحافظة على الآمال .
١٢٠	(بيكون) ووجوب السعى .
١٢٠	البشاشة ورحب الصدر .
١٢١	شخصية (السير وولترسكوت) تتمثل فى متانة أخلاقه .
١٢١	من مظاهر قوة الشخصية الفكرية التغلب على العاطفة .

الفصل السادس عشر

١٢٢	مضعفات الشخصية .
١٢٢	اتكال الشخص على غيره .
١٢٢	التأثر بالعادات والتقاليد .
١٢٣	الشخصية لا يمكن أن تنمو فى قفص من حديد .
١٢٣	فى التمسك بالأفكار التى تقرأ تحكم فى الشخصية .
١٢٤	(جن جاك روسو) وتربية الشخصية .
١٢٥	من مضعفات الشخصية تحكم ميول الشخص فيه .

الفصل السابع عشر

١٢٦	الصفات الكمالية للشخصية .
١٢٦	الذاتية أو الاستقلال الذاتى .

ص	الموضوع
١٢٧	الفرق بين الشخصية والذاتية .
١٢٨	العوامل التى تمتاز بها الذاتية .
١٢٨	الصراحة وعدم الالتواء فى الفكر والقول والعمل .
١٢٨	صراحة المرحوم سعد زغلول باشا
١٢٨	كثرة التردد فى الرأى والقول والفعل تقلل من منزلة الانسان .
١٢٩	تميم بن جميل والمعتصم .
١٣١	حب المسئولية وعدم الفرار منها .
١٣٣	الصبر ورأى (وليام بت) فيه .
١٣٣	آراء فى الصبر .
١٣٤	الجزع يؤدى إلى الفشل .
١٣٥	(إسحق نيوتن) وهبة الصبر .
١٣٥	المثابرة من أهم صفات الشخصية العظيمة .
١٣٦	(فوول بكستون) لم يعرف الرجوع إلى الوراء .
١٣٦	إذا وجدت الارادة الحديدية وجدت قوة الشخصية .
١٣٧	الاسكندر المقدونى ونابليون وقوة الارادة .

الفصل الثامن عشر

١٣٨	الاخلاص روح الشخصية .
١٣٩	الأمانة روح الاخلاص .
١٣٩	الغيرة على العمل نتيجة الاخلاص .
١٣٩	تظاهر الانسان بغير الحقيقة يتنافى مع الاخلاص .

ص	الموضوع
١٤٠	رأى (مارك رذر فورد) فى الاخلاص .
١٤١	(نجاح الحاج) لجون بنيان .
١٤٢	مما يساعد على الاخلاص الدقة فى القول والتفكير .

الفصل التاسع عشر

ص	الموضوع
١٤٤	الحماسة وأثرها فى الشخصية .
١٤٧	حسن التعبير عن الشعور .
١٤٨	قوة الاحساس .
١٤٩	وصف الشاعر الانكليزى (شلى) للنبات الحساس .

الفصل العشرون

ص	الموضوع
١٥٠	اضطراب الشخصية .
١٥١	انقسام الشخصية .
١٥١	رواية (الدكتور جيكل والمستر هايد) .
١٥١	مرض الشخصية الانسانية واضطرابها
١٥٣	أمثلة لانقسام الشخصية .
١٥٣	المرأة العاهر .
١٥٣	الضابط الفرنسى .
١٥٤	الولد المريض بالمالخوليا .
١٥٤	اختلاف الشخصية والسلوك .
١٥٥	رد الدكتور (مورتون برنس) على من يشك فى تعدد الشخصية.
١٥٦	أسباب انقسام الشخصية وما يعترى المريض فى حالته غير الطبعية.
١٥٦	الرجل السكير وابنته الصغيرة .
١٥٧	تحليل الشخصية .
١٥٩	المراجع العربية .
١٦٠	المراجع الانكليزية .

١٩٣٧/٥/٢٠٠٠/٢

كتب أخرى للمؤلف

(١) التربية الإنكليزية

(٢) « فى علم النفس » — الجزء الأول —

بالاشتراك مع الأستاذين حامد عبد القادر ومظهر سعيد

(٣) « فى علم النفس » — الجزء الثانى —

بالاشتراك مع الأستاذ حامد عبد القادر

(٤) « فى علم النفس » — الجزء الثالث —

بالاشتراك مع الأستاذ حامد عبد القادر

(٥) المفصل فى اللغة السريانية وآدابها .

(٦) الأساس فى اللغة العبرية وآدابها .

بالاشتراك مع الدكتور العنانى والأستاذ محرز

كتب قصصية للمؤلف

بالاشتراك مع الأستاذين حسن جوهر ومحمود السيد عبد اللطيف

(١) فى سبيل الوطن .

(٢) خليفة فى الخيال .

(٣) الحصان المسحور .



